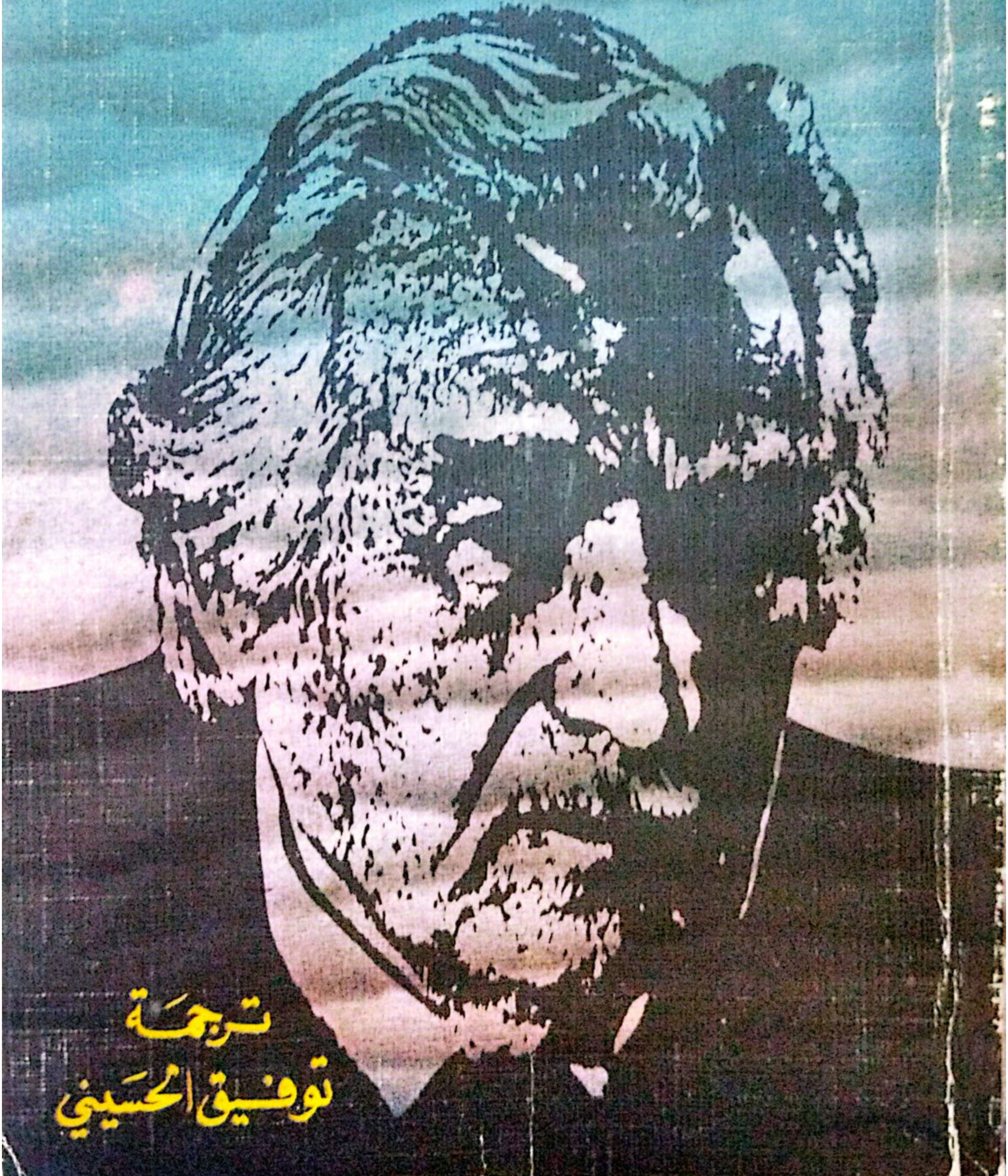
جكرخوين

رشـــوداري



ترجمة

توفيق الحسيني

جميع الحقوق محفوظة
٢٠٠٠ / ١١ / ١٩٨٦

الناشر: توفيق الحسيني
الاخراج : عبد الرحمن النابلسي

طبع في مطابع الصباح

جكرخوين

رشوداري

قصة

ترجمة

توفيق الحسيني

الإهداء

هذه القصة التي يتجلى فيها انسحاق الطبقة الدنيا ومعاناتها، ومآسيها، وقسوة الطبقة العليا وتسلطها وضراوتها، وبسالة الفلاح واستماتته في سبيل المثل العليا، وتهافته إلى انتهاج دروب الكرامة والمجد والعز والاباء. . . .

أهديها إلى كل قروي وإلى كل فلاح.

جكر خوين

مدينة دارا

مدينـة دارا هي إحـدى المدن الكبيرة التي إتخذها /دارا/ **الملك الفـارسي مقـراً لقيـادة حجافله الزاحفة ويقتر ن اسم هذه** المدينة ببرجها وحصنها الشهير ين وزنزانة سجنها الرهيب. . في هذه المـدينـة تنسـاب الميـاه الآتيـة من السد المشيد فوق الحصن خلال دورهـا وبسـاتينها وحدائقها. هذه المدينة الأثرية القديمة **التي لم يبق منهـا كر الغداة ومر العشي سوى أطلال ترسو دعائمها** على هضبتين يخترقها نهر /قرديس/ ويحف بها سور شامخ محكم البنيـان، يطـل على الـدور والمسـاكن والثكنـات المتهدمة وعلى حافـة نهر /قـرديس/ وفي مشـارف الســور تنتصب صخــرة /بردويـل/ العـاتيـة كأهـرامـات الفـراعنـة.وبالقرب من نصب /بـردويل/ الشامخ الراسخ تختبىء الزنزانة /بردويل/ في أعماق الأرض وهي سحيقـة الغـور، مظلمـة، موحشة تنز رعباً وهولاً، **يتعـذر الهبوط إليها في وضح النهار بغير مصابيح، تبدد مايكتنفها** من ظلام كثيف، ولـدى مدخـل الزنزانة هوة يظللها سقف تقله أعمدة هزيلة عجفاء. .

قيض لي أن أنزل إلى أغوارها فبدت لي وكأنها قد نحتت

في الصخر نحتاً ولم تبن بنـاء . . يتضح لكل ذي بصر إن سجناً مماثلاً كان يعلو سطح هذا السجن غير أنه اندثر . . . . الأنقاض المبعثرة هنا وهناك تروي قصة حضارة عظيمة متوغلة في التاريخ فقدت كل معالمها الحية ولاتزال تصون روعتها وجمالها وأسمها . كل ذلك محفور في ناصية الدهر . . الأطلال التي ورثناها عن مدينة دارا تحدثنا حديثاً صامتاً سهباً عن غابر الحضارات بكل ماكان فيها من عظمة وجلال وجبر وت . . وبالرغم من هذا وذاك يمر العابرون بتلك الآثار دون أن يجشموا أنفسهم مشقة الألتفاتة إليها أو التساؤ ل ـ لمن كان ذاك المجد الهارب الذي لم يدع لنا سوى فلول مواكبه وبقايا من شعاع شمسه الآفلة وإلام آل أمر أصحابها ولا يدور بإخلادهم أن قتل الأعداء وغدرهم وغاراتهم الجائرة بدّلت أمصارهم وقراهم خرائب وأطلالاً وسلبتهم كل كنوزهم وإن المعارك الهامشية بين الأخ وأخيه والضغائن المقيته التي تملأ صدورهم هي التي -حادت بنا عن ركب الحضارة ونكبت بمواكبنا عن البناء والازدهار وحجبت عنا نور الحرية وتركتنا نتعثر بأذيال العبودية والاستغلال ونرسف في أغلال الجهل .

إنه لأشد مرارة وإيلاماً للنفس وأمر علينا من حز المدى وضرب الرقاب أن نظل سجناء في بلادنا الرحبة ، غرباء في وطننا الأم ،لانستطيع التحليق لأن أجنحتنا مهيضة . . . .

في المجالس

في الأنـديـة الـريفيـة ومحافلها يجتمع الشمل ويلتئم عقد القـرويـين فيلتفـون حول المـواقد المتأججة، يدرؤ ون بها الشتاء القـارس، يتنـاقلون أطـراف الأحـاديث. يغـربـون في الـرواية ويسردون أطرف مالديهم من قصص وآخبار فيها شيء كثير من الغلو وتحليق الخيـال وفيهـا الكثـير من الـواقعيـة والحقيقـة. يتحـدثـون عن الغيـلان والسعالي والعفاريت والجان، وكائنات أخرى خرافية مرعبة كأن يقول أحدهم:

- في هذه الليلة رأى سلو سعـلاة على قارعـة الطريق، أو صارع «هـوفـو» غولاً. أويقـول: أخـذ كل من رستم والعفريت الأبيض كل بتـلابيب الآخـر حتى كادت أنفـاسهـما أن تخمـد فذهب كل إلى سبيله دون أن ينال أحدهما من الآخر. أويقول: سمـع «بـزدو» أصواتاً منبعثة من أشباح مجهولة كانت تتحرك بين الأدغـال فامتلأت بها نفسـه فزعاً ورعباً ووجلاً. أو يقول: قائل آخر: في معركة (...) التهمت النيران عشرة منازل أولقى عشرة أشخاص حتفهم وهم في مكامنهم في رصد الأعداء. وعلى هذا المنـوال كانـوا يتسامرون ويزجون ليالي الشتاء الطويلة قانعين بما

قسم لهم من رزق لا يشكـون ولا يتـبرمـون ، وذات ليلة كان القـرويـون قد أخذوا مجالسهم ، وأصغوا ليسمعوا خبراً طريفاً أو نبأ مثيراً ـ وكـان ، لونـد ـ ابن الآغـا قد تصـدر المجلس وحين التقت عيناه بعيني رشو، قال بصوت جهوري ينم عن التحدي : كلكم تعلمـون أن زنـزانـة (بـردويل) آهلة بالسعالي والغيلان ، فإن كان فيكم من يجرؤ على النـزول إليهـا هذه الليلة ، أعطيته هذه البندقية وحزام الذخيرة .

صمت الحضور برهة كأن على رؤوسهم الطير . فقد بدا للعيان أن أحداً لم يجرؤ على قبول التحدي مع أن التحدي كان مغـريـاً ومثبطـاً للعـزائم في الـوقت نفسـه ، فقـال لوند واثقاً من نفسه ، وقد خاب رجاؤه ـ إذ كان يأمل أن يتدخل رشو ويرضى بالقيام بهذه المغامرة :

ـ إذن ليس فيكم من يقـدر على الـذهـاب إلى هنـاك ! أصبحت أعرف ان ليس بينكم من يجرؤ على الذهاب وقد أخطأ فيكم حدسي كنت أظنكم أبطـالاً . إضطـرب رشـو إذ أثـارتـه كلمات لوند وقال : إنني سأنفذ رغبة الآغا فهل تفي بوعدك؟؟؟

قال لونـد ـ إني ماقلت قولاً وتـراجعت عنـه ، وهـاهي البندقية ملك لك،متى عدت سالماً.ولكنني لست واثقاً من عودتك بسلام فإن عدت إستلمت جائزتك وإني أشهد الحضور على ذلك .

قال /رشو/ في ثبات ـ إني ذاهب، ثم تأهب للخروج من المجلس إلا إن لوند إستوقفه قائلاً:

ليشهد الجمع إني بريء من دمك فقال ـ /رشو/ لقد أبرأتك من دمي وليكن مايكون. . . قال لوند:إنك لن تستطيع ذلك فدعك من هذا التبجح والادعاء،فقال رشو وقد ثارت الدماء في أوداجه: إني ذاهب ولن أعود إلا وقد بت الليلة هذه في الزنزانة. . غداً ستر ون إن كنت متبجحاً، أوكنت عند حسن ظنكم. . . .

خرج رشو ولم يكترث لكل ماقاله لوند ليهمد عزائمه ويزعزع ثقته بنفسه، سار وهو يتلمس خنجره، يصعد ويهبط حتى توارى خلف الأكام وابتلعته العتمة لم تساوره معاني الرهبة أو الفَرَق ولم تخاطره صور التهاويل التي نسجوها من خيالهم ولم تمر بذهنه الأقاصيص المحبوكة من الرعب والفزع. . حين خرج من المجلس بدا للجميع وهو يخطو تلك الخطوات الوئيدة المتزنة أنه سيدخل الزنزانة دونما وجل أو خوف، بطمأنينة كأنما يدخل داره التي ألفها. في فحمة هذه الليلة تكف الأعين عن الإبصار ولا ترى من الأبعاد قيد أنملة، السحب المكفهرة التي تحتجب وراءها النجوم، تسربلت بها أطلال «دارا»، ينبعث منها شواظ ملتمع خاطف للأبصار بين الفينة والفينة، كتلك النيران التي يضرمها اللصوص وقطاع الطرق وشذاذ الآفاق فوق قمم الجبال

وذراهـا . . اليـوم ينحب نحيبـاً متقطعـاً كأرمـل فقـدت عائلهـا وأولادها الأطفال يتضورون جوعاً ومسغبةً وفقراً . . . خرير المياه يصخب ويعلو هديره ثم يخفت في تباطىء مريع ، ثم ينبثق ذاك الخـريـر بزمجرة هادرة حادة فيلتقي السكـون الشـامـل المطبق الكـلي ، بالضجـة الشـاملة فتتألف من كل ذلـك أغنيةً متوحشةً تنخـر الأعصـاب . أبـواب الكهـوف وثغـور الجـدران المتـداعية وصـدوع الهيـاكـل الآيلة للانهيار كانت تشرئب لـ رشو كأشداق غيلان فاغرة الأفواه . .

/ جاروخ / رشو يقذف الحصى ، يتطاير خلفه رذاذ الطين والأوحال والمياه المنسابة على الأرض . . الطيور المذعورة ترفرف بأجنحتهـا بين الانقـاض والخـرائب ، السبـاع الشـرسـة والهوام لاتـريم على حال تسـرح في قاع الـوهـاد والـوديـان . . الجبـال الصامتة ترنو بعضها إلى بعض ولاتبالي بكل مايجري كذلك كان رشو ، فما ارتعشت فرائصه ومااختلج قلبه ولم تضطرب نفسه خوفاً من ذلـك المكـان المخيف والكـالـح البغيض . . . سار رشـو بين تلك المعـالم السـوداء المختبئة في أحداق الظلمة ،ذاهلاً خلي البال لايدري لم رماه نجل الآغا إلى أحضان ذلك المصير المبهم المجهول .

أما ـ لوذر ـ فتنحنح قليلاً ، ثم خرج في أعقاب رشو حالما لفظـه البـاب ، واستغرق في تأمل عميق ومناجاة داخلية ذاهلة ،

يتصارع فيها الاثم والطهر، والبراءة والخطيئة. . . آه منك يا /روشي/ واحسرتاه. . . والهفتاه إلى الوجنات الوردية. . . والهفتاه الى عيونك الحوراء. . . إلى صدرك الشامخ الفتيّ المتأنق كجنة من الزهور والورود. واشوقاه إلى قدك الاهيف المكابر الرهيف. . آه. . . في هذه الليلة المجنونة سأواري أشواقي ولهفتي وحنيني بين فتون جسدك المُشتعل رغبة ولذة، قبل أن يعود زوجك رشو أدراجه وسوف اقفل راجعاً إلى محفل القوم وكأن شيئاً لم يكن. . لا لن أدع الخطيئة تغلبني على أمر والخيانة ان تجرفني. . لن أمارس هذا الاثم مع زوجة أشد الناس تفانياً في سبيلي أيام المحن والشدائد مع زوجة المخلص الأمين رشو المقدام الشجاع. . . . . آه. . . . ويحي. . . كيف تسول لي نفسي الأمارة بالسوء أن أغمس يد الخيانة الملوثة في مزنة اخلاصه الرقراقة الصافية كمرآة مصقولة. . . . لا. . . . لن تطأ قدمي أرض اقدس مقدساته. . . لن أمد يداً مخضبة بألوان من الغدر والخسة والخيانة إلى عرضه الطاهر النقي. . . ثم كيف أجابه ماستلهج به ألسنة الناس،وكيف لن أذوب خجلاً وحياء وذلاً أمام سخط القوم واستيائهم . وكيف لاتستنزف لعناتهم كياني وسر وجودي؟ ستصفعني أقاويلهم وتهكمهم صفعاً لاهوادة فيه ولارحمة. . لا لن انحر كرامتي قرباناً رخيصاً على عتبات الشهوة ولن أمرغها بالتراب فيطأها كل من هب

ودبّ. . . ماأشـد ـ آنـذاك ـ خجلي من نظرتهم النافذة الشزراء كطعنـات سهم مسمـوم فتاك. . . . ماأعظم صغاري ومسكنتي وذلي. . . . آه. . . . دعـك من ذا ولـيكن مايمكن أن يكـون، ولكن أتـرى تلك المـرأة ستبيـح لي أن أقطف من جسدها الغض تلك الثمـرة المحـرمـة أم أنهـا ستتحـول لبوة مهتاجة وتعفر انفي بتراب الخيبـة والاخفـاق ثم تقـول ـ هذا سبيلك فاذهب أيها السـافـل النـذل. . . اذهب خاسئاً مذموماً ولاترني وجهك بعد الآن. . . ثم ماذا لو أنهـا صرخت في وجهي واستغـاثت بأولئـك القوم فأية حجة يمكنني التذرع بها، وبأي رد معقول يمكنني أن أجيبهم. . . وبم أستطيع الدفاع عن نفسي الخاطئة الآثمة وأي هوان سأنوء به. . . ويـل لي مما أنـا مقدم عليه. كان لوند يسير مختر قـاً أحشـاء الليل كطيف ضائع سادريسير سيراً متر يثاً متأنياً تتخطفـه الشكـوك وتتجاذبه الأهواء والهواجس. . وتفعم صدره الـريب والظنـون. . . دنا من باب الكوخ وهويئن من وطأة هذه المنـاجـاة الخـانقة المدمرة. . . أخيراً ولج الكوخ. . . رآها نائمة مستغرقة في النوم وقد افتر ثغرها عن رضى وسعادة وكأنها تعيش أعـذب الأحـلام. . . بدت له المرأة النائمة كقطرة ندى تفترش وريقات الزهر بعد أن هبطت من عالم علوي. . استعرت نيران الشهـوة واللهفـة في جوانـح لوند. . . مد يده في حذر وخوف. . انتبهت من أحـلامهـا العـذبـة. . كان الظـلام الـدامس يصبغ

أرجـاء الكـوخ وكـل مكنـونـاته بلونه الكـالح، فصرخت في ذعر وتمزق أهاب السكون.

ـ من أنت؟ من تكون؟.

ـ روشي... آه.. أنـا لوند... لوند... لاتخافي... أنا الآغا،

فهتفت ثائـرة حانقـة ـ فلتخـرج... فلتخـرج.. أنـا لاأعرف شيئاً اسمه لوند... لا أعرف الآغا.. من أباح لك أن تقـتـحـم على الـنسـاء خدورهن؟.. انتفضت روشي تحاول الانعتاق من بين يديه القويتين ولكنه شدها إلى صدره شداً وثيقاً وقال:

ـ روشـي... اصغي إلي.. إلى خفقـان قلبي.. هذه الخفقـات تلهـج باسمك.. وتعيد ذكرك... هذه أعوام طويلة تذوب... تتـلاشى وأنا في انتظار هذه اللحظة السعيدة... انها ساعات مرهقة صهرتها في الحنين إلى هاتيك العيون الحوراء المغمـوسـة في دمـاء الليـل... انهـا كانت ثوانيَ جبلت من النار والشـوق تمتص شطـراً طويـلاً من عمـري البائس الكئيب... أخيراً دنس وجهها النقي البر يء.. لمست شفتاه خدها الأسيل النـاصـع كزنبقـة بيضـاء غسلتها الانداء... وزع على وجهها قبـلات آثمـة عشـواء... انتـزع من شفتيها قبلات محرمة إلا على زوجها كما ينتزع رأس أسيره من بين كتفيه...

قال في انتصار:

- طوبى لهذه اللحظة الخالدة. . . طوبى لفردوس هذه الساعة، قالت في خنوع وانكسار:

- أتضرع إليك ان تمهلني ريثما أُلقى على سمعك قولاً غير ثقيل - وإنك لتعلم علم اليقين بأنني لاأستطيع الا نفلات من بين يديك ولا التحرر من أسرك - آه. . . . . . روشي. . قولي مابدا لك. . . قولي. . . لاأدري ماذا تستطيعين ان تقوليه بعد الآن.

- سيدي الآغا. . لك أربع زوجات كل واحدة منهن آية في الفتنة والجمال، لاأوازينهن في حسن أوجمال ولا في حسب أو نسب، وهن أكثر حسناً وبهاء. . أنا لاأكون بينهن إلا كورقة ذابلة ذاوية في دوح حافل بالورد. . زاخر بالزهور. . . سيدي إني آراك تؤثر خزفا على لآلىء ثمينة. . . إني تافهة حقيرة لا أستحق منك نظرة. . . ولست جديرة بلمسة واحدة من لمساتك. . . . . أتوسل إليك أن تدعني لحياتي البائسة. . . . دعني اسعد بشقائي السرمدي. . . رجوتك ان لاتقطع تلك الخيوط الواهية الشفيفة المقدسة التي صيرّتها شرعة السماء لي ولزوجي غلّا وقيداً. . أبتهل إليك الا تفعل. . وزوجي الغائب ماذا يكون من أمره لو علم بزيارتك هذه المريبة في دجى هذه الليلة. . . ماذا لو توجس قدومك الطائش الأرعن إلى

حرماتـه، فزينت له نفسه ان يصيب مني مقتلاً . . . . وماذا عن الآخـرين لو علموا ورشقوني بوابل سبابهم وقذعهم . . . ماذا لو لطخوا أيديهم بهباب الفضيحة ولوثوا بها يومي ومستقبلي،ويرسموا بها على وجـهـي كلمات مستـهجنـة مشينـة لايغسلهـا دائم استغفاري وخالد توبتي . . فاذهب . . اذهب قبل أن يستبطىء الآخـرون غيـابـك ـ أويروك تخرج من كوخنـا هذا الذي لايطأه السـادة من أمثـالك فيظنون بنا الظنون، وتلوكنا الألسن بما تشاء وتشتهي . . . قـال لونـد وقـد عميت بصـيرتـه فأصم أذنيـه عن توسلهـا وتضـرعهـا فقـال : ـ روشي . . . أيتهـا الحبيبـة . . لاتخـافي . . لاتـرهبـك هذه الـوسـاوس فإن أحداً لن يعلم بهذه الـزيـارة . . ومـاأتيت إلى هذا المكـان لأعـود منه بخفي حنين، خاوي الـوفـاض . . . يدمـرني اليأس ويقتلني الحنين إليك وهل تصـدقـين ان ظامئـاً أشتـد به الظمأ وهـوفي صحـراء قاحلة، يباب . . مقفرة . . وطال به البحث عن الماء ثم وقف على واحة مورفـة الظـلال، مونقـة الـزهر، دانية القطوف ثمارها ويرى فيها ينبـوعاً من الماء السلسبيل، فترك هذه الواحة وخرج بظمئه دون أن تبتل شفتاه بجرعة من الماء الزلال . . . إن كنت تصدقين هذا فيمكنـك أن تصدقي رحيلي من روضك الوضاء النضير دون أن أملأ منـه العـين والنفس والجسـد، ثم التصق بها وقرب فمه من ثغـرهـا فهبت عليـه أنفـاسهـا دافئـةً عابقـة قال : ـ آه . . . .

روشي . . . . هذه ليلة مشهـودة . . . . ليلة ميمـونة مباركة تموج بالعطـر وتفـوح بالشذى . . . تزخر بنيران الصبوة اللافحة . . . أريـج الشـوق يسكر الآفاق . . . عبق الأمنيات وعبيرها يفوحان على القلوب الكبـيرة . . البـلابـل تريق شدوهـا في آذان الـورد والياسمـين والـريحـان . . . سفـوح الهضـاب والـوديان والوهاد مخضـوضـرة معشـوشبـة تؤجـج لواعـج البـلابـل فتغـرد متدلهة والهة . . الأجـواء الـرحيبـة تردد إيقاع كل تلك الأغنيات والتراتيل وتصـدرهـا إلى الطبيعـة الحـالمة في نغم متناسق بديع ، الجنيات الجميـلات والحـوريـات الفـاتنـات السـاحرات ، يرقصن . . . يغنين . . . . يعزفن على أوتارهن أحلى وأعذب الألحان . . . . يمنحن الكـون برمتـه فيض مسـراتهن وحبـورهن ومـرحهن . الكائنات تستوعب كل هذه الفنون فتتيه في شرود حلو لا يسبر له غور . . . في هذه الليلة المشهـودة يحطم رضـوان رتـاج أبوابه المـوصـدة ، يهب جنـانـه بدون ثمن . . . . الكـون ملؤه الـزهو والنشوة . . . . إن تموتي ياقبلة أشواقي وأمنياتي فستكون الأرض أوفـر مني حظـاً بإحتضـان جسـدكِ الملتهب المتقـد بالشهوة والرغبة . . . أما وأنت موفورة الحياة فلن تكف يدي عن التشبث بكِ والالتصـاق بكِ والتمتع بمخابىء كنوزكِ . كنوزكِ المتوارية خلف الغلائل . . .

قالت روشي في إصرار ولكن في رقة أيضاً : ـ آه . . . آه

منـك يالوند. . . . يالوند المتعجرف العنيد. . . ماأشد أصرارك وعنـادك ومـاأطيب قلبك وأنقاه. . . . لوند أنظر. . . . حدق في السحب المفـروشـة على كبـد السـماء فوق مقـل النجـوم وأحداقها. . . . ترى النجوم كليلةً مبهورة الأنفاس. . . لم تعد الكـواكب والنجوم قادرةً على العبث بخيوط الضوء. . . لملمت خيـوطهـا اللامعة البراقة ثم اعتكفت خلف قطعان الغيوم كأنما تتلفـح بها إتقـاء برد الطقس ورطـوبتـه وصقيعـه الـلاذع. . . الـصـخـور تتـفـتـت في الجبـال وتتـداعى ثم تهوي إلى قرار السكـون. . . . الطيـور والعصـافـير المغـردة تهرب من دكنـاتها المثلجـة. . الوحوش والسباع شرسةً هائجةً، لايغمض لها جفن تبحث عن وجـارهـا وأوكارها المصقوعة التي طمرتها الثلوج. . . أفـنـــان الأشجــار. . . تبكي. . . . تئن. . . تتألم. تلطمهــا الـريـح. . . أطـلال قريتنـا البـائسة مكفنة بالثلوج تنزرهبة وخشوعاً، شعـاف جبـالنا وبطون أوديتنا دروب مقفرة ضائعة موحشة. . . الأشياء كلها تستحيل دمعةً في أجفان الكون. . . . . ثم. . . . فلتعلم يقينـاً أني حديقة محظورة إلا على رجلي الذي إختارته لي العنـايـة الالهيـة فلا سبيل إلى نقض ماأبرمته السماء. . . سأذود عن هذه الحديقة كل طائر دخيل أو غريب مادامت الدماء الحارة تـدفق في شراييني وتمدني بالقوة وترويني بزخم الحياة. . . لومت محال ماتـريـده. . . محال. . . أن تتحقق أمنيتـك الخسيسة

الـرعنـاء. . . سراب هي خيالاتك الجامحة المتهورة فدعني. . . دعني وشأني. . . سأقولها ألف مرة. . . . ولن أسأم عن تردادها كلما تماديت وألححت. قال لوند نافذ الصبر - الصبر تعقل وحلم وحكمة. . . نفاده جنون ونزق وتهور.

- كفى. . . كفى. . . . كفـاك ماتهيلين بيني وبينـك من سدود وعـوائق وحـدود. . . أعلمي إني لست بذاهب ولا مرتحلاً قبـل أن أطفىء كل لواعجي. . . لا لن أذهب. . . لست غبيـاً أو معتـوهـاً حتى أحـرق مواسمي يوم حصاده. . . روشي. . . حبيبتي. . . حبيبتي روشي. . . مهـما كلت عينـاي في البحث لم أجد حيال عيني سواك. . . ومهما تلمست جروحي لم أجد سوى سهام نظراتك تقتات من حشاشة قلبي. . . ولئن نضبت ينابيع الـرحمـة من قلبـك وأبيت عليّ إلا هذا العـذاب الأليم والألتيـاع المستـديم المقيم فلن أغفـر لنفسي نكـوصهـا إن توانيت عن قتل زوجك. . سأطعمه رصاصة ساخنة فتاكة من فوهة بندقيتي التي لم يعلمهـا أحـد مامعنى الـرحمة. . . وعند ذاك. . عند ذاك فقط سأمتلك قدكِ الأملود وسحـرهـا يفـك العيـون الناعسة الحوراء وأنوف الجميع راغمة.

- لونـد. . . هذا مستحيـل. . . وهيهـات أن يكـون لك ماتريد. . . ابتعد. . . إذهب وافعل ماتشاء فلن تنالني بالسهولة التي تتأملهــا. . . فارقني ويحـك فإني أراك تسعى بظلفـك إلى

حتفك . . . إني ألمح في عينيك شراً مستطيراً سيحيق بك . . . إذهب إلى زوجاتك الأربع وائت بهن إلى هذا الكوخ الحقير، دع الواحدة تلو الأخرى تضاجع زوجي وبعد ذلك قد تستطيع أن تقتادني سبيةً ذليلة إلى قصرك المنيف لايثنيك عن لومك واثمك ضعفي النسائي، أورجائي اللجوج . . . فارقني . . . قلتها ألف مرة . . . ذر لي بقية من دماثة خلق وصن لنفسك بقية من إنسانية وشرف . . . . إذهب . . . . . إذهب .

ـ ألزام عليك أن تضحكي ملء فيكِ الصغير، وتبتهجي ملء هيابكِ الغض اللدن أم تنتحبي ماأسعفتكِ العبرات . لقد أرسلت زوجك في رحلة لايؤوب منها المسافرون . . ستبتلعه متاهات /برودیل/ الرطبة . أو ستزدرده أشداق الغيلان . . . أقسمت لك إيماناً مغلظة غموسة . أقسمت بقدسية الأنبياء والمرسلين . أقسمت بهذا الضريح الهاجع فوق هذه التلال سأجعلك هذه الليلة كاالحصن الذي تسقط حاميته فيغدو نهباً لكل طامع .

المكر ضعف . . . المكر ضعف وهو سلاح الضعفاء . . . ولربما كان أقوى وافتك من كل الأسلحة ـ قالت في خبث مخاتلة مخادعةً .

ـ لوند . . . . يالوندي الحبيب . . أغفر لي قسوتي . أصفح عن أمتك المرذولة . . أعف عن دالتي عليك وجرأتي بين

يديـك . . . لم يخيـل لي قط أن عواطفك النبيلة الجياشة ستشف هنيهـة لتتلقفني ثم تسمـوبي إلى عليـائـك . . . ترفعني إلى رحـابـك السنيـة . . . ألا هب لي مزيـداً من حبك الدافيء . . . أترع كؤوسي الخاوية من شهد خوابيك الخضراء . . . حلق بي إلى فراديس أحلامك الرفيفة . . . فداء لك نفسي وزوجي وكل أهـلي وعشـيرتي . . . . خذني إلى أكنـافك الرحيبة أمةً طائعة، ويسـر لي غصنـاً من جنـانـك المـورق والق إليّ كسرة خبز يابس فستـراني قانعـةً راضيـة يتهـادى إليـك امتنـاني يلثم الأرض في موطىء قدميـك . . . واخجلتـاه واخجلي من حبيبي لوند، يقف لدى بابي المغلق ضارعـاً متـوسـلاً يهتف باسمي وأصم السمـع عن هتافه واتجاهل دعاءه ونجواه . . . حبيبي لوند انظر إليّ ملياً فلن تراني . . . لن ترى وجـه التي أرقت ليلتـك وأسهـرتك وأثارت بين جنباتك كوامن الـوجد واللوعة . . . عفوك . . . عفوك عما بدر مني . . . تبـاً لي من قاسيـة جائـرة . . . الا أسمـح لجاريتك المفتـونـة بك أن تمسـح الظلمـة الـداكنة من أرجاء الكوخ . . . الكوخ الذي صيرته بوجودك مربعاً من مرابع السعادة كمحافل جمشيـد السخيـة بنكهة الأفراح والمسرات والحبور . . . إسمح لي أن المس ذبـالـة ذلـك القنديل الخابي يقبس من النار ثم انتظرني قليلاً ريثما أنضوعن جسدي هذا الرداء الصفيق وبعد ذلك انظر إلي وسـترى أن كنت جديـرةً بأن ألهب مشـاعـرك وأوجج مضرم

عواطفك وأفجر كل أحاسيسك . . . آه . . . لوند . . لقد كنت قاسية أشد ماتكون القسوة . . تباً لي لقد أردت أن أختبر حبك وأسبر مدى شوقك . . . . فاغفر لي .

أذهله رضوخها ، فتركها تنسل من بين يديه كما ينسل الزئبق من الغربال وتذوب في عتمة الكوخ . . . . ظل ينتظرها انتظاراً محموماً متعطشاً . . . (مفاهيمنا الانسانية تملي علينا أن ندفع السيئة بالحسنة ونـدرأ الشرور بالخير والتسامح والمغفرة ولكن قد يستعصي الشر ويستفحل فلا ينجع في درئه إلا الشر كالحديد لايفلح فيه إلا الحديد . .) .عمدت روشي إلى ركوب الشر مطيةً للخلاص . . . تخلت عن ضعفها النسائي . . . . تنكرت لطبيعة المرأة وطينتها المسالمة الوادعة . . . تنكرت للرقة والأنوثة والحنان . . . غسلت الثورة الخانقة الحاقدة من نفسها كل صنوف الشفقة والرحمة . . . . جرفها تيار النقمة . . . إنحنت إلى الأرض . . . تلمست أديم الكوخ . . . . دبت أناملها متوجسةً باحثةً وسيلة للدمار، كأفعى تزحف في جحر. تبحث عن فريسة . . إستقرت يدها فوق فأس شُحذت شفرتها، يومض عليها شيء كنواجز المنية . . . عادت وفي يدها الآلة الساخطة الناقمة على الحياة مذ وجدت الحياة وصيغت الآلة . . . حولتها جريرة لوند حيواناً متوحشاً شرساً . . . حولتها آلهة شريرة سفاحة . . . سكبتها كائناً آخر لايحجم عن إقتراف

أشنع الجرائم . . . أفرغتها في قالب من العنف والثورة كان بودها أن تمزق من وجهها تلك الرقة التي أحرقتها شفتا لوند . . . كان بودها ان تطحن بأسنانها كل ذرة من كيانه الحي . . . انسلت كرقطاء زاحفة لاتحجم عن نفث سمها الزعاف في أي شيء يصادفها . . . اقتربت من لوند تحمل إليه الكارثة في الشفرة المصقولة . . . هوت بيدها . . . . ولفت الآلة في الدم . . . افترست الآلة ضحيتها . . . انبجس الدم . . أضيفت جريمة أخرى إلى سفر الجرائم البشرية . . . وأخيراً شهق لوند ومات . . . . لم تسقط الآلة من يدها . . . . لم يرعبها جلال الموت . . . لم يحركها ندم كأنما قدّ قلبها من جلمود صخر . . . جلست روشي متهالكة على الأرض . . . وحلت دقائق أخرى من الزمن ثقيلة . . . أقبلت دقائق أخرى . . . عادت القاتلة بفكرها من رحلة الجريمة عصرتها مرارة الواقع . . . دغدغها الضعف الانساني . . . فكرت . . . ناجت نفسها ـ رباه ماذا جرت عليّ يداي الجانيتان؟ . . . ماهذه الجريمة النكراء؟ ها هو لوند المضرج بدمائه يرسم لي مصيري الأسود القاتم . . . الشفاه ستخيط لي أكفان العار والخسة والنذل . . . . ليس في الأرض قوة تستطيع ان تخرس تلك الأجراس المنذرة الصارخة اوتبكم تلك الألسنة التي تتعشق تناقل الأخبار ولاسيما اذا كانت بحجم هذا المنكر . . . لا الكذب ينجيني من نكال الآغا الأب

ولا الصـــدق يشفــع لي. . ستصعقـه ضراوة الكـارثـة وتـذل كبر يـاءه وتضـــرم عطفـه الأبـوي. . . . تأملت روشي. . توهمت أشيـاء كثـيرة. . ذهبت بها مرجمـات الظنـون مذاهب شتى تلبـدت في رأسها غيوم الخوف والشكل ثم انقشعت.

تحركت الآلـة القـاصمـة مرة أخـرى تجز الجثة. . صارت الجثة أعضاء واشلاء.

قالت في نفسها:

ـ سأحمـل الجثـة الى سجن بردويـل أغيبهـا هناك متناثرة مبعثـرة وفي الغـد سنـزمـع الـرحيـل عن هذه الرقعة من الأرض وستصبـح الجريمة سرا من الأسرار لاسبيل الى استجلائه.حملت ضحيتهـا الممثلة بها دون قصـد. . المشـوهـة الممسوخة في كيس والخـــوف يأكــل من قلبهـــا. . . الظـلام يعمي عينيهـا. . . . الحجـارة تقيـد خطـواتهـا فتتعثـر وتكبو. . حتى إذا وصلت إلى الجســـر المؤ دي إلـى الـسجن. . . تطـــامنت تقلصت. . . . انــكـــمــشـــت على نفـسهـــا. . . طأطأت برأسـهـــا حذرة مستـر يبـة. . سارت حتى أرهقها السير الطويل واتعبها العبء الثقيل. . . ألقت حملها على الأرض تستعيد أنفاسها وتسترجع قوتهـا. ثم استأنفت رحلتهـا الخـائفـة المـذعورة، . . . ازدحمت عليها الخواطر والأفكار. . . رجعت بها الذكرى تتخطى حواجز الزمن الى الماضي المدفون في النسيان. . . ارتسمت أمام عينيها

ألف صورة وصورة لمآسي الطبقة الفقيرة المكبلة باصفاد صاغتها الطبقة المستغلة مالكة الأرض والثراء والمال والجاه.... مالكة رقاب الفلاحين في هيئة رقيق لايعرف أسباب رقه... وقلما يشعر بهوانه... فبصقت في اشمئزاز... أنهكتها الرحلة... اضنتها النكبة الدامية التي حملتها وحدها... أخير بلغت مدخل الزنزانة فدست يدها في الجعبة المريعة... أخرجت ذراعاً مبتورة... رمتها بكل ماتبقى لديها من قوة... هوت الذراع إلى قاع الزنزانة السحيق... تولد من جراء سقوطها دوي مفزع... أفرغت مكنونات الجعبة... خيل اليها أنها تخلصت من وطأة الجريمة... رمتها قطعة أثر قطعة... في تلك اللحظات كان رشو قابعاً في الزنزانة مطمئناً إلى هدوء الزنزانة، يطعن بخنجره أرض السجن يرسم بذلك هذه الذكرى وهو يحلم بالبندقية التيستؤول إليه غنيمة باردة عقب عودته الى القرية.... هوت على رأسه ذراع مبتورة، صعقته كاللعنة... رفع الذراع قذف بها إلى أعلى... ارتدت إليه الذراع... ارتطمت بصدره... انتفض للعنة الهازئة الهازلة... ذراع أخرى سقطت بقربه، تبعتها ساق... أوجعته الأعضاء المتساقطة.. آلمت رجولته... صبغته بلون أحمر قان... تلمسها الواحدة بعد الأخرى يرمي بها تلك الأرواح الشريرة المنتقمة من هذا الرجل الدخيل على

ممالكهـا. . . . لكنهـا رجعت إليه في عناد. . . . . داعبت رأسه مداعبـة خشنـة موجعـة صفعت وجهـه مراراً. . . من حق هذه الأرواح ان تهزأ به وتسخر من رجولته فإنه قد اجترأ على اقتحام حرماتها في هذه الليلة وأخيراً جأر من غور أغواره متوعداً مهدداً :

ـ أيتهـا الكـائنـات الحقيرة الشقية الآثمة. . . لن يرهبني عبثـك الأخرق. . . إليّ. . . إليّ. . . اقترِبي مني. . . ارعبيني بعمل جاد. . . فلن يجديك نفعاً هذا العبث الهزيل الأعجف الأجوف.

هتـفت روشي متقطعـة النـبرات. . . موزعـة النفس مرتعدة متهيبة ـ من أنت أيها الصارخ من أعماق بردويل. . هلا برزت إليّ. . قل لي من أنت قبل أن اخضب يدي بدمائك. . .

ـ روشي. . روشي. . اتسمعينني. . ألا تعـرفينني؟ أنـا رشو. . . زوجك رشو.

ـ رشو. . أحقاً انت رشو؟ ومن أتى بك إلى هذا المكان؟

ـ آه. . . لابـد أن أكـون مخدوعـاً. . . لقد خدعني ذلك الجبـان الـرعـديـد. قال ذلك وتسلق جدران الزنزانة وفي دقائق تكشف عنه السجن المظلم وبادر زوجته قائلاً :

ـ أخشى أن تكوني قد قتلت لوند.

ـ **أنه لكذلك. . . لم أجد محيداً عن قتله.**

حدثتـه باسهـاب عن ملابسـات الحادث، وكيف اقتحم

لوند الكوخ وكيف راوغته وكيف قتلته وقطعته إربا إربا وألقت أشلاءه في مغيبات برودويل. . حدثته عن خوفها عن كل مالاقته من تعب وأهوال. . . من هواجسها وماكان ينتابها من ظنون. قالت:

- رشو. . . يارشو. . يازوجي الحبيب. . حرام بعد اليوم هذه القرية علينا. . . فلنضرب في الأرض الواسعة ذات الطول والعرض. . . ولن نُعدم كريماً يمد إلينا يد العون والمساعدة. . أو شهماً ينتشلنا من هذه الحمأة، يحمي ضعفنا. . منزل الذل لن يكون لنا منزل بعد اليوم. . . حقيق بنا أن تنهش أسناننا القيد الذي يدمي معاصمنا. .

أطرق رشو برأسه هنيهة واستسلم لتأمل عميق ثم طفق يعبث بسباله الذي يكاد يغطي نصف وجهه وفكر بحزن واكتئاب ثم قال: - بلادنا خيرة لا تخلو من كرماء يشدون ازرنا. . هيا بنا نلجأ إلى دار الآغا قبل أن يطوي السمار بساط السهر وينفض المجلس وسوف نفضي للآغا بكل ذيول الحادث دون مواربة ولا التواء لانزيد ولاننقص. ان يكن الآغا كريماً يدركنا بعفوه ويشملنا بعين رعايته وإلا فإننا نطمع في نجدة القرويين. . لابد أن يهبوا لنجدتنا. . لاريب في ذلك، تقولين الرحيل. . . الرحيل. . ولكن لم لاتقولين إلى أين الرحيل. . . أتريدينا أن نهجر القرية التي ولدنا مع تربتها وامتزجت أنفاسنا

بكـل ذرة من ذراتهـا ، حتى أصبحنـا جزءاً منهـا وأصبحت جزءاً منا . . . صرنا جزءاً واحداً ولا الفكاك عن ذاك الاتحاد ولا سبيل إلى انفصـام أُحـدنـا عن الآخر . . القرية يازوجتي العزيزة ذل وعار وأسر وعذاب . . . . حريٌ بالغريب أن يجفى ويزورّ عنه الآخرون .

أخـيراً ـ بعيـونهما ووجهيهما المكفهرين وشعرهما الاشعث المتلبـد ـ دخـلا محفـل الآغـا فشخصت إليهـما الأبصـار وجلة مسـتريبـة . . . وقفـوا حائرين يطيلون النظر إليهما كأنهم ينقبون عن الغيب فيـما وراء مظهـرهما الـزري . . . مرت دقـائق كأنها ساعات طويلة وقد أتعبهم الانتظار إلى كلمـة ـ الآغـا ـ صرخ زورو آغـا وقد لعب الغضب برأسه فجحظت عيناه واحمرت حدقتاه وكأنه أدرك عمق المأساة

ـ . رشو . . ماهذا؟ لعلك قتلت لوند .

ـ لايـاسيـدي الآغا . . . أنا لم أقتله . . . هي روشي هي التي قتلته .

ـ هي . . . روشي؟ . . . روشي قتلته . . أُعلم . . أعلم . . .

همس ، رستم في اذن شرو ـ قائلاً ـ

ـ مالامر؟

وحدث سمو صديقه رمو ـ

- يبدو أن لوند قد راود المرأة عن نفسها .
وقال فرما لسلو-
- ويحك قم . . أنظر إلى مايجري
وقال أحمد لحمو
- **إنـه لحادث جلل لم تسمـع بمثله أذنان . . لوند . . . تبا له من فاسق فاجر.**
والتفت شكرو الى سمكو قائلاً -
- نعم العقـل مافعلتـه روشي . . فلتكن مثلك النساء قاطبـة ، وفداء لك أمي ، أخيراً زمجر الآغا ومزق الصمت المغيم على السامرين ونادى رئيس خدمه -
أيها السافل النذل . . . شد وثاقهما . . أحكم ربط أيديهما وأرجلهما وسوف أعـرف كيف أنـزل بهما النكـال ليكـونـا عبرة يتناقلها جيل بعد جيل . . سأقتلهما كما قتلا فلذة كبدي لوند . . سأشنقهما . . سأقطعهما إرباً إرباً وأرمي لحومهما للكلاب والطيور الكـاسـرة . . سأحـرقهـما وأمثـل بهما . . سأصلبهما على جدران الاسطبـلات وحظـائـر المـاشية سأستأصل شأفتهما وأبيد كل من يمت إليهـما بسبب من الأسبـاب ياللطـامة ياللعنة!أيتجرأ الرعاة المحتقـرون أن يمسـوا أولادنا بالسوء . . . اقبضوا عليهما سأقطع رأسيهـما بيـدي هاتين . . ويل لهذا السافل الحقير!ويل له أيطعن كبدي في الصميم .

سرت همهمة خافتة بين الحضور.

- أيصل بنا الخنوع ان نصمت فلا نرفع أصواتنا . . . وهل كتب علينا أن نتحمل الأذية حتى في نسائنا .

- ان لم نكن متخاذلين ضارعين فلن نقبل من الآغا خطة خسف يوشي بها اعناقنا .

- كلا . . . كلا . . . لن تكون ظهورنا بعد اليوم مطيّة ذلولة للآغا .

- ومن يحسبنا الآغا؟ أيخالنا عبيده؟ أم يظننا نساء في حريمه فلا نجأر بالشكوى ولا نجهر باستيائنا؟ .

- آه . . . ياأولادي . . الحق أقول لكم . . ان الجريمة منكرة فظيعة . . ايقتل واحد من الرعاع واحد من سواد الناس وعامتهم ابن الآغا فلا تثور ثائرته؟ .

- عار عليك ان تنطق شفتاك بمثل هذه الكلمات المستكينة المتخاذلة . . ناشدتك الله أكنت تتردد في قتل لوند لو كنت بديلا عن رشو؟ .

- الحق أقول لكم . . ان انتهاك الأعراض عار لايغسله الا سفك الدماء .

- انه لكذلك . . أليس كذلك؟ قولوا . . تكلموا . . . أليس الأمر كذلك؟ .

- لم يخلق المرء سفاكا بالفطرة ولكن الآخرين قد يدفعونه

الى الجريمة دفعاً لاخيار له في ذلك . . الأخرون هم الذين يزرعون فينا بذور الخير أو الشر.

ـ لو أن فينا ذرة من ألفة إباء وانتهاء فلن يوجد ثمن لشراء صمتنا وسكوتنا.

ـ اليوم حلت المصيبة في ساحة رشو وزوجته وصمتنا اليوم يجلب لنا غداة غد مصائب ورزايا لاقبل لنا بردها . .

اشتد اللغب . . . ثم خفتت الأصوات وفجأة جلجل صوت سورو هادئاً رصيناً ـ

سيدي الآغا . . لابد لكبير القوم أن يتسم بالحلم . . لابد له أن يتصف بالحكمة والاناة وبعد النظر، لايرسل الكلام على عواهنه ولايتناول الأمور عل علاتها،تقولون ـ القرويون هم بمثابة أولادنا وفلذات أكبادنا فما بالكم برجل مثل رشو تسيمونه الذل . . . تنتهكون حرماته وتطعنون كرامته . . . تطؤون انسانيته، فيأبى عليكم ذلك وتأبون عليه الا ان يدفع ثمن إبائه القتل والتنكيل . . سيدي الآغا . . . نحن جميعاً وكل من على شاكلة رشو نستقبل بصدورنا رصاص عدوكم وقذائف بنادقه . . نرده على أعقابه ماوسعتنا الحيلة في رده، نضحي بأنفسنا في سبيلكم ماوسعتنا التضحية والفداء . . نرد عليكم أسلابكم أن سلبتم أو رزئتم في أموالكم، لاتخامرنا رحمة او عطف عليهم حين نقتلهم . . ولاتأخذنا بهم شفقه، وفي أيام السلم نخدمكم في

بيـوتكم. . . نطهـو طعـامكم. . نهيء موائـدكم، نصـون أعراضكم كما نصون أعراضنا. . وفي الأندية والمجالس نخرس ألسنـة حسـادكم ونبكمهـا. . . ونفحم كل شانئيكم وكـل من يحمـل لكم في صدره غلا. . . فهـل نقبض منكم ثمن طاعتنـا العميـاء وانقيـادنا غير الاجحاف والنبذ والاهمال؟ نحن أيديكم التي تبطشون بها،وأقدامكم التي تسعون عليها،ولسانكم الفصيح وصـانعـو مجدكم. . . نحن بنـاة صروحكم وعظمتكم وجاهكم ومن ذا الـذي يحفـظ سلطـانكم من الانهيـار والتـداعي، لو أننا أدرنـالكم ظهـورنا وسحبنا عنكم ثقتنا ولو سللنا عليكم عصياننا وتمردنا لما قامت لكم قائمة من بعد ذلك. . . سواعدنا هي التي تقيم صروح مآثـركم وصنـائعكم البيضـاء وهل تقوم صروحكم بغـير سواعـدنا؟ أفيطيب لكم بعد كل هذا ان تنتهكوا أعراضنا وتذروا رماد تجبركم في أبصارنا الشاخصة المتطلعة أبداً إلى حسن رضاكم؟.

مسّت كلمات سورو شغـاف القلوب فافـترت الشفـاه وتهللت الوجوه. . . إعجاباً. . والتهبت حماستهم.

- إنـه على حق. . مرحى لك ياسـورو. . . فلنردد جميعاً ماألقاه سورو على مسامعنا.

- سلوا أجسـامنـا الـواهنـة الخـائـرة كم لاقت من العنـاء والتعب في أداء أعمالهم. . . لايقنعون بصهرنا في بوتقة أعمالهم

المرهقة المفنية فيطمحون إلى أكثر من ذلك . . . يطمعون في إمتلاك نسائنا واخذهن ويعمدون إلى تعفير كل مالنا من كرامة .

وقال رشو بقلب وجل ولكن بثقة واطمئنان .

ـ حييتم وبورك فيكم أيها الأخوة الرجال . . . المسألة واضحة لاغبار عليها . . أرسلني لوند إلى الزنزانة لتتاح له مغازلة زوجتي ومراودتها عن نفسها . . أسألكم إن كان فيكم انسان واحد فقط يستطيع أن يتجاوز عن هذا الاعتداء الصارخ ويضرب عنه صفحاً . . . فأية كرامة لهذا المعتدي الأثيم ومن صلب أي رجال نبلاء ينحدر؟ ومع ذلك يريد زورو آغا أن يتقاضى دمي ثمناً لتطاول ولده لوند!

ـ ليت النساء كلهن من طينة واحدة .

ـ امرأة كـ /روشي/ تستحق منا كل ثناء وتقدير.

ـ ان امرأة من هذا الطراز أغلى من كل نضار العالم وكل ماملكت ايماننا من متاع .

ـ ماالاسد وحده مضرب المثل في الشجاعة . . اللبوة أيضاً خير مثال .

ـ فلتبارك السماء أنجالاً تحبل بهم أحشاء روشي .

ـ ماذا فعل لوند حتى أردته روشي قتيلاً؟

ـ متى تحين ساعة خلاصنا من براثن هؤلاء المتعطشين

للدماء.. متى الخلاص؟

ـ ويل لآبائنا وأجدادنا الخاملين المتقاعسين.. ماضرهم لو كانوا أصحاب قرى وأرياف

ـ مثلنا كان اسلافنا من الفلاحين متخاذلين متواكلين.

ـ ولكن إلى متى نظل نعاني من اضطهادهم وجررهم. قال زورو آغا ـ

ـ من أنت ياسورو؟ ومن يكون رشو؟ ومتى همك أمره. أيكون متحدرا من صلب والدك؟ أم أنت تنازعني السلطة هاهنا؟... في هذه الليلة سأجعل الصدور نهزة للخناجر. أرى الكثير ين منكم مستائين متبرمين يسوؤهم أن ينال رشو عقابه العادل.... فمن كان منكم ساخطاً فليجهر بصوته ـ

لم يتمالك سورو نفسه من الغضب فقال متأثراً مهتاجاً مخاطباً المجلس:أيها الاخوة.. مالي أراكم يرين عليكم صمت كصمت المقابر ألم تبلغ كلماته أسماعكم؟ أم أنتم صم لاتسمعون؟ والله لن تقف بعد الآن خاشعين اوننحني راكعين.. ان اليد التي ستمتد بسوء إلى رشو سنبترها وسنردع صاحبها بكل ماأوتينا من قوة وعناد.

ـ حق مايقول... انه على حق.

ـ لم نعد قادرين على تحمل الاهانات المتكررة.. كفانا

ماتحملنا من ذل وصغار.

ـ أيها الأغا فلتكن عيونك متفتحة.. رشوليس هملا مضاعاً.. أو متاعا منبوذاً بغير سند.

ـ انظروا إليه.. واسمعوا منطقه المعوج... يعتدى علينا ويطلب منا جميعاً ان نبارك عدوانه.

ـ هيا بنا فلنرحل من هذه القرية الباغية. ولنهاجر إلى مكان آخر ولكن لماذا؟ لماذا الرحيل؟.

ـ لارحيل ولانكوص.. سنكيل الصاع صاعين لكل من تزين له نفسه الاعتداء علينا أو الاساءة إلينا.

الآغا ـ من شاء منكم الرحيل فليرحل فإني أُراكم متواطئين متآمرين. تكفرون نعمتي وتجحدون فضل اليد التي أطعمتكم من جوع وكستكم من عري،فوالله لأثيرنها شعواء يصطلي بها القاصي والداني.

روشي ـ الجبناء أحق منا معشر النساء بالخصر والخدور.. أتسمعونني.. غداً قد تكونون نهبا لمثل هذه المقاساة وهذه الداهية التي ألمت بنا.. قولوا لي ان كنتم تشبعون خبزاً جافاً رغم صنوف الخضوع والمذلة التي بين أيدي الآغا؟.

ـ لقد أقسمت قسماً أن أجعل حياتي دريئة لرشو وزوجه.

ـ إنه على حق.. انه ينطق بالصواب.. كلنا معكما.

ـ كلنا معك يارشو.. كلنا دروع تحميك فكن رابط

الجأش.

ـ هيــا. . . . . قومــوا. . . فلننصـرف من هذا المجلس فلسنا عبيده حتى يشبعنا هوانا وذلا.

ـ ممن ترهبــون؟ وممن تخافــون؟ إن جبننــا وخـوفنـا هذا سيكونان وصمة عار في جبين أبنائنا وأحفادنا.

ـ هذه خطة خسف لن نسلم أو نقبل بها.

ـ نرفض هذا الاجحـاف ونرفض مغادرة القرية في الوقت ذاتــه. . . لم يضــع الآغــا يده على هذه القـريـة إلا بدمـائنـا المسفـوحـة. . تعـالـوالى كلمتـه سواء بيننـا أن يشد بعضنا أزر بعض كالبنيان المرصوص.

كان سخـط الجمهـور ساخـراً ومبيناً، وكان جنوحهم إلى جانب رشو صريحاً واضحاً. كان ذلك كله كافياً لبعث الخوف في نفس الآغـا، وبث روح الخـور فيهـا فخفف الآغا من غيظه ولم يجد أمامه سوى سبيل الملاينة والملاطفة قائلاً:

ـ لئن كنتم ترجــون أن اتجــاوز عن ذنب روشي العظيم واجتراء زوجها رشو، وأن أغفر لها عن قتل لوند فإني أهب لكم رشو وزوجه وأصفح عنهما وأشهد أني قد جعلت رشو بمثابة ولدي لونـد. . . قسـماً بوالدي العظيم، لن أكسر لكم قلباً. . بغيركم وبغـير نصـرتكم ماذا يبقى لي من جاه وسلطـان، وبغـيركم من أكون؟ مجدي وفخاري نابعان من نفوسكم العظيمة.

أجابه الغفلة البسطاء في صوت واحد:

- لازلتم سادتنا إلى أن ينفخ في الصور، ولازال مجدكم زاهرا ولاتصدعت صروح عليائكم وأمجادكم.. قم يارشو... ارتم لدى موطىء قدميه والثم يديه عربون شكر وامتنان.. سيدنا الآغا كلنا خدمك وعبيدك، الطائعون فلورميت بنا في أتون المهالك في أية ساعة شئت لخضناه مؤثرين طاعتك والوفاء بعهدنا على حياتنا.

انحنى رشو على يدي الآغا وقبلهما وقال في ضراعة:

- إني أجعل رأسي رهينة بين يديك.. ذاك سيفك وهذا رأسي فاصنع ماتشاء.. كرامتنا من كرامتك... سيأتي يوم نضحي فيه بدمائنا من أجلكم. سنفديكم بكل ماتطاله أيدينا.... أنت منا بمثابة الرأس ونحن لك بمثابة القدمين... سيدي الآغا. سأظل مقوس الظهر أبداً تحت هذه الأعباء الباهظة من النعيم التي سخت بها يداك الكريمتان.

سورو وحده لزم الهدوء ولاذ بالصمت، فقد كان يعلم أن وراء لسان الآغا كلاما يخفيه لايرضي أحداً.. إلا أن الآغا كان يؤثر كتمانه لأنه كان يبتغي رضى الحضور إلى حين، ويحاول التذرع بالكلمة الحسنة ليتسنى له تشتيت جمعهم وابعادهم رويداً رويداً عن صف رشو وزوجته فإذا ما واتته الفرصة السانحة انقض عليهما فريستين سهلتي المنال... وقد يلجأ إلى

السلطـة الـتركية الحاكمة في البلاد فيقتص القضاء منها قصاصاً مجحفـاً ويطحنهـما طحنـاً بعـد أن يأتي رجـال الأمن من مدينـة ماردين. . إن الآغـا يستطيـع تحطيم جميع هذه الرؤوس الخاوية المخـدوعـة، المغـترة بمـواعيـد الاقطاع ودينه. . . هذه شريعته يقارع أبناء جلدته بالقوى الغريبة. .

رجـع الجميـع إلى بيـوتهم وقلوبهم تطفـح بالـرضى والابتهـاج. . . . في تلك الليلة كان النـوم ضنيناً فلم تكتحل به عين واحـدة في مدينـة دارا. وكـل من كان قد أسـترسل في نومه العميق بعيـداً عن أجـواء الحـادثـة أفاقوا مذعورين يلحقون في الاستزادة عن التفاصيل. ايقظ سلو زوجته وقال لها:

- انهضي. . ويـل لك انظـري أيتهـا المسكينـة /برشاني/ علينا أن نرحل سريعاً عن هذه القرية.

- ماذا؟ ماذا؟ ماذا تقول؟ وماذا يجري؟.

- لقد قتلت روشي ابن الآغا. . . لقد قتلت لوند.

- ويلاه. . . ويل لك يابريشاني المسكينة. . ولكن قل لي. كيف قتلته؟

- ربما ذهب لوند إليها يراودها عن نفسها فقتلته بفأس

- ان يكن الأمر كما تزعم فقد أحسنت روشي صنعاً. . . اذن هذا هو سبب تبـاطئكم في دار الآغـا. . . . نرجـو الله ان لاتجلب هذه الحـادثـة مضـاعفـات على القـرويين وان لاتكون

الحادثة الشرارة الاولى لحريق هائل أو نواة لكارثة.

- نتضرع إلى الله أن يجنبنا أهوال هذه الكارثة.. لكن... لكن.. يجب أن نرحل عن هذه القرية.

- ألم يؤازر أحدكم ذلك المسكين رشو؟

- لم نأل جهداً في مؤازرته.. لكن ماذا تنفعه المؤازرة أو تجديه؟ وماأدرانا بما تخبئه الأيام من مفاجآت وأحداث جسام... ربما يزج بهما في السجون.

- أيستطيع الآغا أن يزجهما في السجون؟ لن يضيرهما أحد لو أوليتموهما عونكم المخلص.. وانه لفريضة مستحقة في أعناقكم جميعاً أن تبذلوا لهما كل عون... آه.. سلو. ياسلو المسكين.. قد تنوخ هذه الملمة لدى أبوابنا.. لاطاقة لنا في صدهم أو دفعهم.. إنهم هراوات غليظة وتعجز أيدينا عن تطويقها.. وماشكوانا إلا الى الله وحده.

الوقوف إلى جانب رشو مسألة تحتمها الكرامة وتفرضها المروءة وعند ذاك فلن يمس رشو ضير.

- ناشدتك الله ألم يكن سرو حاضراً في مجلسكم؟ - آه.. لولا أنه كان حاضراً ولولا أنه كان أكرمنا وأجرأنا على الكلام ولولا وقوفه الصارم في وجه الآغا لكان رشو طعاما للخناجر.

- ويل لكم! أوقفتم كالأموات عاجزين؟ أخشيتم سطوة الآغا؟ ومن ذا الذي كان سينتصر له... عجزكم بمنحه

السطوة. . . تخاذلكم يقيم دعائم قوته. . فيض جبروته نابع من ضعفكم. . . أنتم تضعونه حسب مشيئتكم. . فلو صفعه كل واحد منكم صفعة واحدة لأرديتموه قتيلا. . . . ويل لكم. . . آه. . . . لو كنت رجلاً لرأيتم جليل صنعي.

- آه منك يا /بريشاني/ أتخالينا نرهب الآغا أو نخشاه. . . رجال الدولة ظهيرون للآغا وحكمه فينا. . . حكمه فينا نافذ لا مرد له مادامت السلطة الحكومية تشد أزره. . . ولكن انتظري قليلاً. سترين أي شر مستطير سيداهمنا بعد أيام. . . سيأتي بجنود مسلحين. . . مدججين بالعتاد والذخيرة يلجون دورنا على قسر منا، يلسعون أجسادنا بسياطهم. . . يسمعوننا كل قول ذميم يتفننون في تعذيبنا. . يعدون علينا أنفاسنا فلا يسعنا حتى التذمر أو الشكوى. . . ليس أمامنا سوى ان نجمع بعض المال ندرأ به ظلمهم.

- ياسلو المسكين غادر البيت قبل أن يقتنصوك ولن يدري أحد بعد ذلك أين مأواك وإلى ماذا صار مصيرك.

- وي. . . لقد أقسمنا جميعاً أن لانبرح هذه القرية. . فلو أنني نكثت العهد وأطلقت ساقي للريح لما بقي في الناس من يركن إلى مواعيدي وعهودي. . . إن أفعل ذلك أفجعهم في الثقة التي منحوني. . . ثم الا تخشين أن يذيقك الجنود مر العذاب وسوف تشهدين لهم بمكمني الذي اختبىء فيه.

ـ آه يالمسكنتي وذلي . . . فلنرحـل إذن . . . فوالله لاطاقة لنـا على تحمـل لمسـة سوط واحـد . . . لا . . . لا . . . إرحلوا جميعـاً . . . هاجروا . . . ماذا جرى لنا حتى نلتصق بهذه القرية الظالمة . . التي لاتفتأ تلفظنا فنرتد إليها .

ـ اتظنـين الـرحيـل سهـلاً هينـا كما ينهـل أحـدنـا جرعة ماء . . . الـرحيـل . . . أجل الرحيل . . . . ماأهون رحيلنا هذه السـاعـة . . . . ولكن ماأصعب ماسيقـولـه النـاس فينـا بعـد الـرحيـل ، ومـاأشـد ما ستكـون غربتنـا وبؤسنـا في القرية التي سنحـل فيها الرحال . . . في كل قرية آغا جائر مستبد . . أولئك السـادة لايتـورعون عن سفك الدماء وقتل النفوس البريئة . . . يسبـون النسـاء ويقتلون الأزواج ويسلبون الأموال . . . مباح في شرعتهم قتل مواطنيهم وانتهاك أعراضهم ونهب متاعهم .

ـ ومن يكـون الآغـا؟ أليس من طينتنا؟ أم أنه كائن آخر؟ وكم ترى له من رؤوس؟ فليتحـد القـرويون ويتعاضدوا وينبذوا من بينهم كل شقـاق وخـلاف . . . ليحجم الـراعي عن تسريح سوائمـه ومواشيه والفلاح عن حرث أرضه فسوف يكون أول من يهاجر من القرية .

ـ آه . . يابريشاني . . كم مرة قلت لك ان الدولة ظهيرة له تحفظ سلطانه من الانهيار .

ـ وأيـة قرابـة تجمـع بين الآغـا ورجال الدولة . . . ، ولماذا

لاينتصر أولئك الرجال لنا . . . لماذا لاتثير حفيظتهم حقوقنا المسلوبة .

ـ انهم أصحاب جاه وثراء أولئك السادة . . . قصورهم منيفة عامرة . . . جيوبهم ملأى بالمال والمجوهرات . . . وكل يلوذ بالقمم العالية . . . شهرتهم تطبق الآفاق . . . . ينفقون على القواد والمسؤولين . يطوفون المدن والأقاليم يشاهدون كل طريف وجديد . . . . أمرهم شورى فيما بينهم . . . يغضب أحدهم للآخر . . . يتفهمون الآمور على حقيقتها أكثر مما نفهم وندرك . . . ألم تسمعي كيف بذر الآغا / في قرية زور آفا/ بذور العداء في صفوف القرويين؟ كان القرويون قد تمردوا وشقوا له عصا الطاعة . . . امتنعوا عن الحضور إلى مجالسه . . . رفضوا خدمته . . . تقاعسوا عن دفع المكوس والضرائب . . . نافسوه كأشد ماتكون المنافسة . . . لكنه أخيراً تغلب عليهم بعد أن فرق بينهم بالمكيدة والدسيسة والحيلة .

ـ كيف استطاع تضليلهم ونشر البغضاء والشحناء بينهم .

ـ آه للقروين المساكين . . . آه . . لجهلهم الفادح وسذاجتهم ، وجهلهم المطبق .

ـ آه للتعساء لايبصرون أبعد من أرنبة أنوفهم . . السادة يستطيعون دائماً أن يعبثوا بمصائر هؤلاء التابعين

الفقـــراء. . . . قد يهمس الآغـا على رؤوس الأشهـاد في أذن أحـدهم ليثير حفيظـة الآخـرين وحنقهم عليه. . . وقد يتنازل لأحــدهم عن الخـراج ليكسب بذلـك وده وتأييـده ويبعـده عن صفـوف القـرويين المتمردين،وقد ينصب أحدهم رئيساً للخدم. اوينعم على آخـر بمـرافقتـه وبـديهي أن الآغـا حين ينعم على أحدهم بمرافقته،فإنه يضع ذاك المرء فوق قدره ولاسيما ان خول احـدهم ليتنكب له البنـدقيـة ويسير وراءه. . هذه هي طريقتهم في التفـريق والتشتيت. . . ولايسـع مسكينا مثلي سوى الرثـاء لهم. . . أكثرهم نائمون. . . . سادرون في الجهالة والضلال.



تمو يسائل شرو

ـ ولـــدي شرو، لم تأخـــرتـــم هذه الليلة؟ ألا تشفق على حياتك؟ أنت تعلم أن أعداءنا منبثون في كل مكان.

ـ أبتاه لا تقل ذلك. . حادثة الليلة لم يطرق صداها سمع انسان.

ـ قل. . قل لي ياولـدي ماذا حدث؟ تعـال إليَّ أنبئني. . أخطف أحدهم إحدى النسوة؟؟

ـ ليت الأمر كان كذلك. .

ـ قل لي إذن ماذا جرى؟

ـ الأمـــر خطـير. . خطـير جداً. . أكـبر من أن تنبس به شفتان. ان ما أعلمه هو أننا على وشك أن تقوم الساعة.

ـ آه. . قل لي ماذا جرى؟

أسقط شرو سيجارته المحترقة حتى نصفها تحت موطىء قدميـه وسحقهـا بقـدمه الحافية. . التفت يمنة ويسرة ليتأكد أن أحـداً لا يسـتر ق إليـه السمـع،ثم حدث والده بكل ما جرى في قالب مثير مشوق،فقال والده تمو: ـ

ـ أي بني. . هذه أخلاقهم منذ ألف عام. . . يقتلون. .

يخطفون النساء.. يغتصبون الأرض من أصحابها الشرعيين.. ألم تسمع بالآغا الذي احتال على مختار القرية.. وحين ترافقا في سفر من الأسفار عمد إلى قتله.. ومن الخزي أنه ذرف الدموع سخية على فقده.. ألم ينبئك أحدهم بجورهم وظلمهم.. ألم تسمع بمن قتل شقيقه بطعنة غادرة في ظهره.. ألم تسمع بمن تخلص من خادمه أن قتله وتزوج أرملته من بعده.. ألم تسمع بالآغا الذي قتل ابن عمه وأحرق أحد عشر رجلاً.. آه. ! أي شر لم تقترفه أيديهم، إن ظلم السادة وجهل الرعية، كل ذلك لا ينفك يثخن جراحنا وتفت في عضدنا،وتدعنا نهبا متاحا لكل عدو جائر لا يرحم.. آه.. يا ولدي.. ضائع معروفنا في أولئك السادة الناكرين لكل جميل.. ضائعة كل تضحياتنا.. ضائع بذلنا وعطاؤ نا.. لن أنسى ما دمت حياً ذاك اليوم الذي أقام فيه مختار /قرية..-/ وليمة للآغا/... / كانت الوليمة سخية مترفة وكان صاحب الدار /المختار/ مضيافاً كريماً ومفضالاً لم يأل جهداً في سبيل تكريمنا فخدمنا بنفسه مذ دخلنا داره وحللنا عليه ضيوفاً... وفي الهزيع الأخير من الليل حين هجع الجميع في القرية أيقظ الآغا مرافقه وقال له زاجراً :

- قم.. انهض.. اذهب إلى /كنة المختار-زوجة ولده/ وائت بها إلى هنا وإن تقاعست فاقسرها على المجيء.

- يا سيدي الآغا.. نحن الآن ضيوف على هذا الرجل

الكـــريم النبيـــل . . عار عليّ أن أذهب ـ وعـار عليـك إلى يوم يبعثـــون ـ وألبي لك هذا المطلب الـرخيص، ينـوء كاهـلي بهذا المطلب . . أعـذرني سيـدي الآغا إذا قلت لك بانني لا أستطيع ولا تسعفني قدماي على السعي في هذا الأمر . . لك أن تكلف أحداً آخر ينفـذ لك هذا المأرب الخسيس فإني عاجـز عن ذلـك العجز كله . .

ـ أيهـا السـافـل الـدنيء . . أتقول لي لا؟ لم أطعمك إذن وانـفـق على ملبســك واقـلدك شرف مرافـقتي . . لم أنكبـك بنـدقيتي؟ ومـا جدواك إذا خالفتني في يوم كهـذا اليـوم وأي خير يمكنني أن أُجنيـه من نذالتـك وجبنك؟ إنك لن تستطيع أن ترد عني كيـد الأعـداء أو بأسهم . . أقسم برأس والدي أن الخبز . . الذي تأكله لخير منك ألف مرة .

ـ سيدي الآغا . . أقسمت برأس والدك العظيم . . أني لا أصلح للقيـام بمثـل هذه المهام الحقيرة . . وان أنكرت عليَّ هذا العصيان رددت عليك سلاحك وهجرت قريتك عن طيبة خاطر وبنفس راضية مطمئنة غادرتك إلى الأبد .

آه . . يا ولـــدي . . لم يقنـــط الآغـــا . . لم يلق الســـلاح بالسهـولـة التي كان يتوقعها، الآغا . . آه . . يا ولدي . . التفت إليّ وعــنــد ذاك سرتَ في جســمي،بل في كل خليــة من خلايـــا جسدي قشعريرة صاعقة . . لم أجرأ على مخالفته . . . اقتحمت

خدر المـــرأة مرغـماً . . تجمـدت أوصـالي من هول المحـاولـة . . خامـــرني رعــب قاتم بارد . . كدت أختنق . . استيقظت المـــرأة النـائمـة على الجلبـة التي أُحـدثها دخولي غرفتها . . اضطربت المرأة . . تشبثت باذيالي وقالت : ـ

لتكن شهـماً أيهـا الرجل كائناً من تكون . . أني ألوذ إليك منك . . رجلي الشاب مساق إلى الخدمة العسكرية . . إني شابة وفي مقتبــل العمـر فلا تقحمني في أمـور **قد تودي بحياتي** . . أني أنـاشـدك الله أن تدعني وشأني . . صدمتني المفاجأة . . تحجرت حواسي وجوارحي . . خيّل إليّ أن جسدي كله يتحول إلى كتل من الجليـد . . بكت المـرأة بكاء مراً تقطعت له نياط قلبي . . ثم قالت والعبرات تخنقها : ـ

أرجــوك . . أرجــوك أن تخرج . . اقـتـلني . . اقتلني ولا تفضح الستر ، لا تركل عفتي وطهري بقدميك . .

آه . . يا ولـدي شرو . . من ذا الـذي قد قلبـه من جلمود صخر حتى يستطيع صبراً على ذاك الموقف الضارع المستكين؟ رجعت إلى الآغا خائباً خائفاً مرتبكا تتعثر في شفتيّ الكلمات . . نظر إليّ قائلاً :

ـ ماذا؟ أين هي ؟ **هل أتيت من دونها؟** . . لم أقل شيئاً لأن الآغـا كان في ذروة غضبـه وأوج حنقـه فاستأنف قائـلاً : ـ أيها الـوغـد كيف تستطيـع ان تقتـل لي عدواً واحـداً؟ أف لك أيها

الخنزير الرعديد.. ثم التفت إلى آخر وقال له : - إذهب أنت يا روتو.. خذها من شعرها وائتني بها صاغرة.

لم تمض فترة طويلة حتى اقبل /روتو/ وداهم مجلسنا وبيده خنجره المسلول وباليد الأخرى شعر المرأة التي تبعته ذليلة مرغمة.. طردنا الآغا من الغرفة واختلى بالمرأة والمرأة تستغيث وتتوسل دون أن تلقى من الآغا أذنا صاغية.. ومنذ ذلك الوقت آليت على نفسي جاهداً وعاهدت الله أن لا أكون في يوم من الأيام ظهيراً لأحد من أولئك السادة العتاة الفجرة ولم أخالط أحدهم من ذاك التاريخ.. ولكم وددت أن أجد من يتمرد على ارادتهم ويرد لعناتهم إلى وجوههم الصفيقة القاسية كقلوبهم.. القرويون البؤساء منهزمون أبداً.. متفككون.. قد يتألقون حيناً من الدهر وتجتمع كلمتهم قليلاً وسرعان ما يتناثرون وتذهب كلماتهم أدراج الرياح.. أولئك التعساء مفتقرون إلى الوعي والجرأة والاتحاد.. ومتى توثقت في نفوسهم عرى هذا الثالوث استطاعو تقويض ارادة السادة وأصبحوا سادة أنفسهم..

رنا شرو إلى والده وهو يتبسم ابتسامة امتعاض واشمئزاز وقال - إن الحديث ذو شجون.. وطابنا مازالت مفعمة بكل مرير.. إن الأحداث الماضية الدامية لأهون شأناً مما ستتمخض عنه أيامنا المقبلة..

أمـا سورو فكـان قد القم الموقد قطعة من شجر السنديان حين تم التفاف القوم حوله وبلؤ وا يلغطون ويلغبون، لا يصغي احـدهم إلى آخـر كأنهم قد كفـروا بالمثل القائل / السكوت من الـذهب/ قال أحـدهم : ـ خير لنـا أن نعصف في وجـوه السادة ونطيـح بهم وبأمجـادهم المـزيفـة، لانبقي على أي كان منهم، وليكن ما يمكن ان يكون . .

بابير ـ إني أراكم كالنعجـة التي تبحث عن حتفهـا بظلفهـا وتلقــون أنفسكم في المهـالـك . . غداً سأرى من منكم لا يخفـر بوعـوده المعسـولـة . . ستر ون بأم أعينكم أية كارثة ستحيق بكم وتمحقكم . . لقـد قُتـل ولـده ثم تقفـون بينـه وبـين الثأر لولـده المغـدور . . أتـريـدون أن يستـوي /زورو/ آغا والفلاح المغمور /رشو/ . . أن ذلك لا يكون أبداً، سيذلنا الآغا وينتقم لكرامته المهـدورة المهـانـة وعـزتـه المثلمـة . . سيضـرب على أيـدينا بقوة الجنود الاتراك وسوف نرى أن كنتم تستطيعون أن تعارضوا مشيئة الآغا أو تضـربـوا على اليـد التي ستأخـذ بخنـاقكم وتصـرعكم في الأوحـال . . أمـا أنـا فسوف أطلق الساق للريح وأرحل لا ألوي على شيء . . . لم يسبـق لكـم أن عانـيتم لذع السيـاط على الظهـور وخبـط العصي على الـوجـوه والـرؤ وس . يافتياننا أنتم منتفخون خيلاء وزهواً وادعاء باطلاً .

ـ بزدو ـ والله هذا حق . . قول بابـير حق صراح . . ماذا

يعنينا؟ ليقتل رشو وزوجته شر قتلة.. ماالذي يقحمني في المعضلات المستعصية؟ وهل أنجب والدي /رشو/ حتى أغضب له وهل زوجة رشو طاهرة مصونة إلى حد لا يوصف؟؟

رفوك - أنا أيضاً سألوذ بالفرار.. ويل لنا من الجنود إن التقوا بنا.. طوبى للذين لم تلسعهم السياط في ظهورهم ونحورهم ووجوههم.

لالو-.. فليخسأ الجنود.. ماذا،ماذا يمكنهم أن يفعلوا.

سورو- انظروا.. إنكم لا تستطيعون ان تكونوا جلدين صابرين كهذا الصبي.. تباً لكم سرعان ما خفرتم بعهودكم ولقد قال أسلافنا قدماً/ طعام الجماعة لا ينضج/ إن الآغا فرد واحد نجبن عن لقائه ونخشاه ونرهب جانبه.نساؤ نا وحدهن يستطعن طرده من القرية.. لكنه يعرفنا ويعرف كم نحن خانعون أذلة لا يحسب لنا حساباً،ولا يقيم لنا وزناً ولا يأبه بجموعنا الواهية الضعيفة... **إننا مضعضعون مفتتون كالخبز** مصنوعاً من الذرة لا يمسك بعضه بعضاً.. **أنه يجندلنا فرداً** فرداً.. ووالله إن رجلاً يقدم على الرحيل والهرب لهو في منتهى الصغار والخسة والدناءة.. ليحضر الجنود وليحموا ظهر الآغا إلى حين ثم.. ثم سنتفرغ له وسوف نعلمه كيف يمكننا أن نغضب لأنفسنا.. ليمعن الجنود في ضربنا والحاق الأذية بنا ثم ماذا سيحدث ؟ هل نحن بيض حتى نتكسر فلا سبيل إلى رأب

صدعها . . الجنود أبدا يبحثون عن غنيمة باردة ومنفعة عاجلة سريعة ، ، . لا خلة لهم ولا وفاء لا يرعون عهداً أو يحفظون مودة وبالمال فقط ستتمكن استمالة الجنود . . . الجنود يميلون حيث يميل الذهب والمال . . . من غيرنا يشيد هذه القرى؟ نشيدها ثم نأتي بأناس آخرين مثلنا لا يتميزون عنا ولا يختلفون ليتحكوا في رقابنا بما يشاء لهم الهوى . . نشذب لهم العصي ليهشموا بها رؤوسنا الخاوية . . . كونوا أباة متى جاء رجال الدولة . . . اصعدوا لهم . . جادلوهم . . ناقشوهم . . تكلموا . . . عبروا لهم عن خوالج صدوركم فإن الجراد لم يقرض ألسنتكم لتصمتوا أيها الغافلون . . ولئن ساقونا إلى المدينة ، فما علينا إلا أن نحتفظ برباطة جأشنا . . ولو أن الأغا إطمأن إلى تجمعنا وتكاتفنا لما لجأ إلى القضاء لأنه لا يريد من الجميع أن يناصبوه العداء . . كفانا أن نطأطيء برؤوسنا ليشجها . ، . كفاه ماسلبنا باسم المكوس والضرائب والجزية . . كفاه ما انتهك من حرماتنا ومقدساتنا . . . كفاه ما أضرى بنا الأعداء والمبغضين . . انظروا أين نحن من / استانبول / . . من هناك يفر إلينا الجنود . . يقدمون إلى أرض كردستان ، يتوطنون بيننا يأكلون من خيراتنا . . ثم لا يكتفون بذلك كله فيقدمون على قتلنا ونهبنا . . الفقر والحاجة والوشاية والتناحر والمشاحنات تشدنا إلى عجلة المستعمر الخؤون لا نملك لأنفسنا ، لا نملك لأنفسنا

شيئاً سوى أن نؤدي للآغا يوما بعد يوم ما يفرض علينا من خراج . . انهم كالمرض الوبيل يأكل من جسد الشعب، وحشاشته . . لم يعد في مقدورنا أن نكسو عرى أطفالنا أو نسكت صراخ بطونهم الجائعة .

هوفو - عمرك الله . . غفر الله لك هذا الجهل . . تائهون نحن لولا الآغا . . ما ذنب الآغا في الذي ترده علينا . . ألا يقف الآغا سداً بيننا وبين الأعادي؟ . . إنه يلجأ إلى الجبال . . يتعرض للقتل . . قد تلتهم النيران قريته وأمواله . . سادتنا يقتلون ويقتلون . . وفي أيام الجمع يدعو خطباؤنا من رجال الدين للأتراك . . أتراهم كانوا يفعلون ذلك لو أن الأتراك كانوا حقاً أعداءنا . . . قبيح بك أن تجعلنا والاتراك في حديثك هذا أعداء متخاصمين متناحرين . . لولا وجود الاتراك بينا لما قامت لنا قائمة . . لولا قوتهم وسلطانهم العظيم لغزانا الكفرة في عقر ديارنا .

سورو - يا رعاكم الله . . ما زلتم بغير بصائر تجهلون أن أعداءنا هم الباشوية التركية والأقطاع والأغنياء وأصحاب العقارات الشاسعة من الأتراك والأكراد على حد سواء . . إنهم يحاولون بشتى الطرق والوسائل المتاحة من الحيلة والاعتساف ان يجردونا من أموالنا . . سينكشف لكم حقيقة التدين التركي حين يدخل الجنود قريتنا هذه الآمنة المطمئنة وستنكشف لكم ذيلية

الآغا وتبعيته لأعدائنا الأتراك وكأنما قيل لسادتنا همساً - أنتم أيها السادة مخلصون متفانون في الإخلاص لأعداء شعبكم، وتعجزون عن الاتيان بحسنة واحدة لأنفسكم.

لقد أفقرنا السادة وأثروا. . . تسنموا ذرى الوجاهة والشهرة والمجد ووضعوا أسماءنا في غمرة النسيان، وسلبوا حقوقنا. . شيدوا قصورهم المنيفة حذاء أكواخنا الرطبة العفنة. . . بلادنا غنية ثرة العطاء. . عزيزة علينا. . لكن زمامها في أيد رخيصة تابعة لأعداء الشعب. . اليد التي ترفع إلى أفواهنا كسرة خبز جاف أرهفت حتى هزلت ولم تعد قادرة اشباع نهم المغتصبين الذين يحجبون عن عيوننا نور المعرفه. . يصطادوننا في ظلمة جهلنا. . . يصطادوننا في المستنقعات الراكدة الآسنة التي حفروها لنا. . يتصرفون بنا كمايتصرف أحدهم في متاع تافهة بخسة الثمن. .

والآن. . لكننا الآن نريد أن نحرر أعناقنا من الرق والأغلال ونحيا حياة حرة كريمة في وطننا إلى جانب أشقائنا في الإنسانية في ود وتراحم ووئام - منعمين سعداء.

بايير - وعي. . وعي. . سورو يحلم بالمستحيل. . من لك بتحقيق هذا الحلم يا سورو العزيز؟ أنت تدفعنا إلى الهاوية. . لو علم الاتراك بنوايانا ومطاليبك لعلقونا على اعواد المشانق. . . هلا رحمت أولادنا من اليتم والجوع والتشرد.

ـ لسنا خيراً من الأبطال الشباب الميامين الذين قضوا نحبهم على مذابح الحرية. . . الموت في ساحة الشرف خير ألف مرة من حياة خانعة مرذولة. . قضى أباؤ نا وأجدادنا إلى غاياتهم وذهبوا إلى غير عودة. . تلاشوا وضاعت أسماؤ هم في عوالم النسيان. . ولو أنهم ماتوا على دروب الشرف والتحرر لخلفوا وراءهم أسماء مشرقة خالدة بخلود النجوم للزهرة.

لولا ـ أين سفر ذلك التاريخ الذي يسجل في أعناقنا حسنات رجال الدين والبكوات؟

ـ أنا لم أقل لكم أن هؤلاء خير من أولئك، لكنني أؤ كد لكم أن بين هؤلاء وهؤلاء من له حسنات لا تنكر.



رشو وروشي

في تلك الليلة لم تهدأ بلابـل رشـو وزوجتـه فجلسـا حول المـوقـد الفخـاري /تفـك/ يتحـدثـان. . يذهبـان في الحديث مذاهب شتى ولاينفـك رشو عن تحريك الرماد والعبث بالحجر. يعـود وهـو شارد الحـواس. ولا تكف روشي عن مداعبـة حاشية منـديلهـا الـذي يغطي رأسها «هبر ي» وقد تخضبت بالدماء. . تغمض عينيهـا بين الفينـة والفينـة وتستغرق في التخيل والتصور والتوهم فيتراءى لها وجه «لوند» شاخصاً لا يفارق مخيلتها فتقول:

ـ ويـل لي كيف أقـدمت على جريمتي النكـراء. . إن صورتـه لاتفـارق مقلتي. . . إني أخشى على نفسي من الخبـل والجنون. . ثم تستسلم للبكاء والنحيب وتعود إلى القول:

ـ كيـف سولـت لي نفـسي الجـائـرة أن أُزهق روح ذاك الشاب الفتي؟ ويل لي. . لِمَ لَمْ أهرب؟ لو هربت لكفانا ما نكابد الآن من بلاء. . . آه يا رشو. . لقد فعلت كل ما وسعني لردعه فلم يرتـدع. . . كنت فاقـدة الوعي . . . مخدرة الاحساس والا فكيف استطعت أن أحمل ذلك العبء الثقيل واجتاز به النهر. .

كان يخيل إلي آنذاك أنني أحمل كيساً من القش. . . رشو. . يا رشو المسكين كيف لم يخامرك الخوف حين سقطت عليك الأشلاء؟

ـ ما فات مات. . . دعيك عن ذلك. . لا تجري وراء اللحظة الهاربة فإنها لن تعود ولن تستطيعي اعادتها. . لكن الجنود قد يأتون فماذا يجدربنا أن نفعل؟

ـ ألا يغضب لنا القرويون؟ إنهم رجاؤ نا الوحيد وأملنا الأخير وما جدوى القرويين ازاء أولئك الجنود المأجورين المأفونين؟ فإني أخشى أن لا يصمدوا للسياط اللاذعة فيولوا الادبار أما نحن فستهتر ىء جلودنا في ظلمة السجون. .

ـ إن لم تكن في ريب مما تقول فدعنا نكون أول الهاربين قبل أن تنهشنا براثن الذئاب الضارية.

ـ ذلك لن يكون أبداً. . . لأننا تعاهدنا على الوقفة الصامدة والتجدي والمقاومة وليس لنا إلى غير ذلك من سبيل. . فلو أطلقنا الساق للريح كما يفعل الجبناء. . فمن ذا الذي سيمكث في القرية بعدنا؟

إن الأمر كله موكول إليك. . . وإني لعاجزة عن التفكير فافعل يا رشو ما بدالك.

ـ ليت السماء انتقمت منهم. . ليت القدرة الإلهية اطاحت بهم. . لكن. . آه. . لم ننتظر القوى الخفية أن تأخذ

بأيدينا وتعاقب اعداءنا؟

ـ صه.. صه.. كف عن كلامك أفلا تخشى أن تمطرك السماء حجارة؟ إذهب إلى فراشك فإنك متعب مرهق.. ولنرتقب الغد فعسى أن تفرّج كربتنا مع بزوغ شمس يوم جديد. ـ أماه.. وهل يستطيع أحد أن يخلد إلى الكرى؟

قريباً من الموقد «تفك» استطاع رشو وزوجته روشي أن يغمضا أجفانهما... رأى رشو فيما يرى النائم نفسه في زنزانة «بردويل» في يده خنجره المشهر واشلاء مبتورة من جسم إنسان. تتساقط عليه فيرعد صوته: أنا رشو. . أنا رشو. .

ايقظ صوته «وهو نائم» زوجته فأفاقت مرتعبة فزعة وهتفت قائلة:

ـ رشو. . رشو. . ما بك؟ نم. . نم. . إن الله لن يضيعنا. . مالي أراك صارخاً متوعداً. . استفاق رشو من رقدته ومسحة من النوم لا تزال ترنق في مقلتيه فقال في هذيان:

ـ آه يا روشي الحبيبة. . الدخان يملأ الدار. . المياه تتساقط من الشقوق. .

وفجأة اكتنفته الأوهام وحملته لجة الهذيان بعيداً. . رحلت به إلى الجنود والضرب والتعذيب ثم تنفس الصعداء، فقالت روشي:

ـ قم. . إنهض. . البرد قارس. . اذهب إلى

الفـراش . . ولا تبـال فكل آت قريب لا مرد لقضاء الله . . هذه هي سنة الحياة وهل نحن خير ممن عانوا ويعانون قسوة الأيام ومكارهها .

قالت ذلك وعمدت إلى نزع «جاروخ» رشو وجواربه .

- روشي . . أرجـوك . . هلا سقيتني جرعـة ماء فإني أشعر وكأني لم أشـرب ماء منـذ أمـد بعيـد . . ثم ارتمى على الفـراش فقدمت له كأساً من الماء يروي بها غليله . . تناول الكأس . . . ! التقت نظـراتـه بجسـد روشي الفـاتن . . تذكر أنه متعطش إلى احتضـان هذه الفتنـة المـاثلة أمـامـه بدون ثمن . . هذا السحـر الحلال الميسر . . تذكر أنه جائع يقتله الجوع إلى لثم هذه الشفاه الـريِّقـة العطرة كأوراق الورد . . إلى تقبيل هذه الوجنات المترفة كتفاح ناضر . . إلى الصدر الناهد كسلة من الأزاهير اليانعة . . إلى القد الأهيف المهفهف . . تمددت روشي إلى جانبه وقالت له :

- أجـل يا رشـو . . لقـد جرّ علينا تباطؤك في المنتدى هذا البـلاء . . إنَّ إنسـانـاً مثلك يكـد ويتعب لاينبغي له أن تطـول اقـامتـه بعيـداً عن الـدار . . بعيداً عن زوجته الشابة المنزوية في أركـان بيتهـا المنعـزل . . . حرام أن تتركني وحيدة . . . ولكن ما العمل؟ النساء أجنحة مهيضة،لا يسمع لها صوت . . ثم اني لا استـطـيـع ردَّ أمـرك . . هذه هي إرادة الله في هذا الجـنـس

الضعيف من البشر ولا راد لقضائه . . . قالت ذلك ووسدت رأسه بذراعها البضة الناصعة كالعاج ولمست خده بخدها . . قبلها رشو قبلة مستعرة في شفتيها . . ثم ناما نوماً هادئاً لا تتخلله الكوابيس . . ارتفع خوار الثور فاستيقظ رشو ثم أيقظ زوجته وقال لها :

ـ ويحك . . قومي . . ضعي شيئاً من العلف في معالف الماشية ألا تسمعين خوار ثورنا الأبلق؟ آه لقد شغلنا عن تقديم الأعلاف للسائحة .

ـ آه . . رشو . . قم أنت . . . أطعمها ولا تنس أن تضع لها التبن في المعلف الكبير . . إني منهكة . . أشعر وكأني قد تهشمت عظامي وسحقت في مطحنة .

نهض رشو . . وقد السراج . . دخل الحظيرة . . نظر إلى الثور الأبلق . . . فنظر إليه الثور نظرات مستريبة كأنه ينكر من أمر صاحبه شيئاً أو كأنه لا يعرفه . . ووثبت السوائم مجفلة مذعورة . . انتصبت آذانها . . حدقت في رشو تحديقاً فيه ريبة وشك . . أنبأته تلك الأعين الوامضة الملتمعة في ضوء القنديل أن شيئاً ما قد طرأ عليه وأنه تبدل تبدلاً مخيفاً لم يخف على هذه الحيوانات العجماء الباغمة . . العاجزة عن الكلام . . من جديد تنازعته الهواجس والظنون فقال في نفسه : ـ يبدو أني قد تغيرت . . قد تحولت شيئاً آخر . . هذه هي ماشيتي وسوائمي

تحذر الاقتراب مني.. انها تنفر مني.. ولعمري لم يحدث لها هذا من قبل... لعلها تدرك عمق المأساة التي أقاسيها... ترى هل تدرك هذه الحيوانات العجماء حقاً ما أعاني من الغم والكمد؟

افرغ لها العلف وهو يهتف لها بصوت جهوري:

ـ ايتها المواشي.. أيتها السوائم.. تناولي أعلافك.. تناولي أعلافك فإني أعلم يقيناً بأنك صائرة إلى طعام للجنود عما قريب... إن الآغا لن يقبل أن يكون في حوزتنا مال،كما لم يرض ولده أن تبقى زوجتي طاهرة عفيفة.. مما يغضب السادة أن يكون للمستضعفين في الأرض جاه أو مال أو كرامة.

وحين عاد رشو أدراجه إلى الكوخ رأى رشو قطه يلعق براثنه وهو يرنو إلى رشو بعينيه اللتين تشعان ببريق أخضر مشبع بالأسى والتفجع والتألم والشكوى قال بينه وبين نفسه: ـ كأنما رابطة خفية تشد بين جميع المتألمين من جميع الكائنات فرفع القط إلى صدره وربت على رأسه... مسّد ظهره براحة يده وناجاه مناجاة خافتة صارمة:

ـ آه.. لزام أن يكون المرء عميق التفكير.. عميق الاحساس.. على الناس أن يكونوا متآلفين متوارين.. لِمَ يستمر القتل بين الناس؟ لِمَ ينهب الأخ أخاه؟ لم يقتل أحدهم الآخر؟ لِمَ هذه الحروب المدمرة؟ لم ذاك العراك الدامي؟ ليتنا

نستطيع نبذ هذه الفوارق المخزية بين أبناء البشرية . . ليتنا نعلم أي دواء ينجع في شفاء هذه الأمراض المزمنة الوبيلة . . ألا يكفينا كل هذا العالم الشاسع الواسع؟ ليت الجميع يدركون ويحسون كما تحس وتدرك الحيوانات . . لو أن الجميع أدركوا هذه الحقائق لجرت الأمور على خير ماينبغي ويرام . . المدافع تلقي بحممها ونيرانها . . القنابل تتفجر . . الرصاص ينهمر . . لم تحدث هذه المآسي للإنسان؟ . . . المستعمرون لا يدعون البشرية المهذبة أن تتناول خبزها الجاف بأمن وسلام . . ألم يكن لوند زوجاً لنساء اربع . . . ألم تكفه زوجاته الأربع حتى جاءنا ورمى بنا في أتون هذه المحنة العارمة . . قتلته روش لا رغبة في القتل ولا تعطشاً لسفك الدم . . . لقد كانت مساقة إلى فعلتها تلك سوقاً.«لوند» هو سبب تيهنا في هذه الدوامة . . . لن يأتي ذاك اليوم الذي نشبع فيه خبزاً ما دام بيننا من أمثال لوند وشاكلته . . ولولاهم لكنّا بألف خير . . ولكان ممكنا أن ندعَ الذئاب والنعاج معاً . . . أين خلاصنا أين؟ ليس أمامنا إلا أن نثيرها حرباً شعواء رعناء لا ترحم . . أن نقتل السادة الوالغين في دمائنا . . ربما كان في السادة أنفسهم من فطر قلبه على الخير فيأخذ بأيدينا وينقذنا من آثامهم . . ولكن هل بينهم أحرار أباة يحسّون بما يقاسيه الشعب ويفهمون كم يعاني ويكابد؟ ليت فيهم واحداً في قلبه طيبة وبين جوانحه حنان وشفقة ليصرخ في

وجوههم :

- بئس الطـريق هذا الـذي تنتهجـونـه . . بئس المسلك مسلكنـا . . تعـالوا نرجع عن غينا يكون خيراً لنا وخيراً للبائسين من أبناء جلدتنا على حد سواء . . فهم اخوتنا في الانسانية .

وكز رشو زوجته روشي باصبعه وقال لها :

- انهضي . . انهضي يا عزيـزتي فإنـه يدور في خلدي أمر ذو بال .

- آه منك يارشو . . أنك لم تتح لي وقتاً أغمض فيه أجفاني المقرحة من السهر والسهاد . . قل لي ماذا يخطر ببالك قل .

- تعلمـين . . أننـا في هذه الأيام سنكون بمسيس الحاجة إلى المال وأني لا أملك شروى نقير . . وسيأتي الجنود ليزجونا في السجن بعد أن يتفننوا في تعذيبنا لذلك فلا بد لنا من حال ندفع به شرهم وأذا هم .

- ما أمامنا! إلا أن نقترض بعض المال من بعض الكرام .

- وأي كريم هذا الذي يقتني ذهباً أو فضة .

- اذهب إلى «جكـوسـو» واقـترض منـه حاجتـك من المال . . حاول ذلك مع انني لا أعلق عليه املاً كبيراً . . . وعلى كل الأحوال إذهب إليه قبل أن يخطف الآغا كل مافي وطابه من الذهب .

- أرى أن تذهبي إليـه يا روشي . . ذهـابي إليه أمر عادي

ولكنك لو ذهبت فأنت امرأة لداخله بك شيء من الرأفة والرحمة.

ـ هه . . . إنني امـرأة وأجهـل كيف أحدث جكوسو. . . ثم كيف أستطيع أن أذهب والليل لم ينقض بعد . . لكأنك أحمق مغفل إذ تطلب مني ذلك.

أدرك رشـو أن زوجتـه على حق، فانتفض قائماً وأزمع أن يسـير إلى جكـوسـو.اجتـاز رشـو الجسر . . كانت المياه هادرة . . وحفيف الأشجـار يملأ السمـع . . الجبـال صامتـة . . رأى الأعمدة والأطلال . . أحس للمرة الأولى أن قريته هذه كانت في يوم من الأيام موئل حضارة عريقة زاهرة فقال يهمس لنفسه: ـ كيف استطـاع أسـلافنـا أن يشيدوا تلك البر وج التي لم يبق منها سوى الانقاض؟ أي رجال أشداء كان أجدادنا حتى استطاعوا أن يقفـوا كالطـود الشـامـخ في وجـه الغـزاة من الروم وأداروا رحى الحـروب بكـل بسـالـة وكفـاءة قتـاليـة نادرة . . لعلهم كانوا في عهـودهم السحيقـة تلك آخذين باسباب الحضارة متمكنين من العلوم والمعـارف، وبيـدهم مقـاليـد المدينة، يسير ون في مقدمة الشعـوب والأمم، لا يضـاهـون في كرامتهم ولا تهضم حقوقهم ولا يسـاومـون في حريـاتهم . . لكن من هم أولئـك الذين أتونا ء وقـوضـوا صروحنـا وألقـوا بأشرعتنا إلى الأرض العراء: من هم أعـداؤ نـا؟ لم نحن اليـوم متعطلون مشلولـون مخذولون؟ أفلسنا أصـلاب أولئـك . . الصناديد الميامين؟ لقد انقرض علماء بلدنا

فلا عجب أن تتـداعى قلاعنـا وحصـوننا وأبراجنا وأن يئن أُفراد الشعب تحت نير المغتصبين . . تناهى إلى سمعه صوت ـ أو هكذا خيـل إليـه ـ كصوت نعيق البوم كأنه آت من وراء الانقاض يردد / الغـربان تعبث باعشاش النسور / فتساءل رشو بينه وبين نفسه أهــذه المـدينـة المتحـولـة إلى خرائب وأطـلال من يدري كم استشهد فيها من حماة أباة؟ كم مات فيها من عظام النفوس؟ من يدري كم هزت النسـوة الخفـرات مهاد أطفالهن؟ من يدري كم من ليال ساهرة تعبق باريج الأفراح والمسرات صاخبة بألف لون ولـون من أصـداء الطرب أقيمت في هذه المدينة التي تسرح فيها الغـربـان وتنعق فيهـا البـوم . . أخـيراً وصـل رشـو إلى دار / جكـوسـو / هو مايـزال مأخـوذاً بتصـوراتـه وتأمـلاته . وحين صار من باب الدار قاب قوسين صرخ رشو مناديا ـ يا أهل الدار. ثم فتح الباب وأطل منه رأس جكوسوا وقال :

ـ هه . . هذا أنت يا رشــو . . يا ولــدي . . أهـلاً بك يا ولدي العزيز .

ـ جئت لائـذاً بك أيهـا العم لأمر ذي بال . . وارجو أن لا يخيب فيك رجائي . تجاهل جكوسو وجود رشو ولكن إلى حين، إذ التفت إلى زوجته قائلاً : ـ

املأي الا بـريـق ماء لوضــوئي . . . ألم تسمعي المؤذن يدعو المؤمنين إلى الصلاة؟

ثم توجه إلى ولده /قريو/: اعتن باغنامك ولا تهمل تعليفها. . خذ القطيع إلى المرعى. . اشتمل بعباءتك. . تنكب بندقيتك. . والق كسرة خبز إلى كلابك. . واذهب الآن إلى الراعي وايقظه فها هو الفجر قد انبلج. . واخيراً استدار إلى رشو :

- إني أفهم سبب قدومكَ يا ولدي. . فقل لي كم تريد؟

- أنت تعلم ما ألم بنا. . أعطني عشرين «مجيدياً» ولك أن تعين مدى ما يترتب على ذلك من الزيادة والربا.

نقده جكوسو عشرين مجيدياً باربعين وقال له لولا انك عزيز عليَّ وأنك بمثابة ولدي /قريزو/ ما فعلت ذلك. .

تناول رشو النقود بيد راجفة مضطربة ثم ألقى نظرة حانقة غاضبة على جكوسو وغادره، وهاجس يقول له :- حقاً ان اناساً يعيشون في نعيم وأن آخرين يتلظون بنار الجحيم.

وحين رجع رشو إلى الدار رأى كلبه /قو/ جاثياً أمام الباب فأحس أن كلبه يشفق عليه من الحالة التي وصل إليها وأنه لا يتمنى أن يرى صاحبه مقطب الأسارير يغضن التفكير جبينه فقال يخاطبه - فداء لك ألف من أمثال جكوسو. . . يسوؤك أن أشقى أو أتألم ويسر جكوسو أن أُمتهن وأتعذب. ربت رشو على رأس /دقو/ إلا أن دقو ابتعد عنه والأسى باد عليه ثم التصق بالجدار فقال رشو يحدث نفسه :

ـ ليت سادتنا كانوا مثل دقو. . ليت الانسان وفيّ مثله.

فما أقسى قلبك أيها الانسان وما أشد عتوك. . وحين رأته روشي، بادرته في لهفة ماذا فعلت. . . قل؟

سرقني ذاك الملعون الخسيس. . نقدني عشرين مجيديا باربعين، ليتك رأيته كم كان يهملني ويتجاهلني ويصعر لي خده.

ـ ويل له من نصاب نهاب. . لا رعاه الله ولا أبقاه. .

ليت أن مصيبة أدهى وأمر من مصيبتنا تطوح به ولكن هوّن عليك. . ان جكوسو يبحث عن الحمير النافقه لينتزع عنها نعالها. .



الشروق

أرسلت الشمس أشعتها الذهبية فتكللت بها الوهاد والروابي وبطون الأودية رويدا رويدا . . امتلأت الأودية بالاضواء المسفوحة من ينابيع الشمس الدافئة . . كانت الأمطار المنهمرة قد غسلت السهوب والحقول فترقرقت.قطرات الندى على غصون الأشجار وأفنانها . . تبدت الدور والاطلال باسمة ضاحكة في ذلك الصباح المتوقد المنير . . . خرج الناس من منازلهم يستقبلون وجه الشمس . . . يفركون أيديهم . . يبتغون بذلك حياة هانئة مديدة سعيدة . . كأن الدنيا غير الدنيا . . كأن الرقّ قد ودعهم إلى الأبد وجاءهم عهد مشرق وضاء يحمل إليهم الحرية والتآخي والمساواة والوئام بعد أن استدبروا الليالي الباردة الحالكة استدباراً وإلى غير رجعة . . استقبلوا هذا الصباح لا كما يستقبلون صباحهم كل يوم . . كان الناس في دارا يستيقظون قبل أن تهجر الطيور وكناتها، يهرولون إلى مزارعهم وحقولهم زرافات ووحدانا يهزجون ويمرحون . . لا تمس نفوسهم الأكدار والاتراح . . . أما صباح هذا اليوم المشرق فصامت لاتصدر من أحد نأمة كأن على رؤوسهم الطير . . الناس

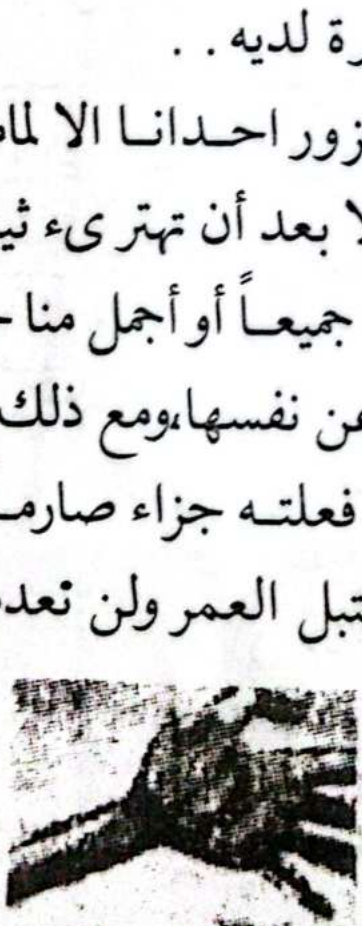
واجمون ساكنون كأعمدة الأطلال والهياكل المتهدمة في القرية . . لا يتحـرك في دارا غير الميـاه المنسـابـة في جداول نهر قرديس المهفهفـة طوراً . . الصاخبة طوراً . . المائجة الهائجة . . المسافرة دائـماً إلى نهر جغجـغ ثم إلى نهر الفـرات لتنصب بعـد ذلـك في رحلة شاقة مضنية في خضم المحيط الهندي . . مدينة دارا . . لا . . بل أنـا مخطىء . . قريـة دارا بجـزئيهـا المـتر بعين فوق جبل / أومـريـان / تبدو كنهدين عملاقين . . الاشجار تتأود فوق جبل / قـادي / النـاس ينظـرون ويطيلون التحـديق في الأشبـاح والأطيـاف المتحـركـة من بعيد كأنهم ينتظرون قدوم تاجر حبيب إلى قلوبهم يحمـل إليهم توابـل الهنـد وعطـور افريقيا . . في ذلك اليوم كان شغلهم الشاغل حادثة رشو . . . المحنكون منهم فقط كانـوا يتـوجسـون خيفـة مما تضمـره ساعـاتهم المقبلة من سجن وارهاب وتعذيب وتجويع .



المناحة

دار الآغا في حركة وجلية تعج بالنساء وقد أتين مئتزرات بالسواد. النحيب والنواح يملآن المكان حزنا والتياعا. . بعض النساء يلطمن صدورهن ويخدشن الوجوه. . نساء لوند يبكين. . يعولن. . يحدثن أنفسهن - لماذا نأسف على ذهابه؟ لماذا تقرح أجفاننا بسكب العبرات من أجله؟ لتبك عليه من كانت حبيبة إلى قلبه أثيرة لديه. .

وهل كان لوند يزور احدانا الا لماما. . ولم يكن يستر عوراتنا ويكسو عرينا إلا بعد أن تهترىء ثيابنا وتبلى أسمالنا. . أكانت روشي خيراً منا جميعاً أو أجمل منا حتى ذهب إليها لوند متودداً متزلفاً وراودها عن نفسها،ومع ذلك فقد أبت عليه ذلك فخليق به أن يلقى جزاء فعلته جزاء صارماً عادلاً. . إننا مازلنا في ريعان الصبى وفي مقتبل العمر ولن نعدم رجالاً يتزوجوننا.



الرمس

القـريـة صامتـة ميتـة الأصـوات . . الناس يحفرون قبرا للونـد . . رميم العظـام يختلط بنثـار الـتراب كلما جرحـوا قلب الأرض بمعاولهم . . يتساءلون في أعماقهم لمن كانت هذه العظام البالية؟ ماذا كان أصحابها يرتدون وماذا كانوا يأكلون؟؟ وأية لغة كانوا ينطقون؟ وأي شيء كانوا يصنعون؟ هل ماتـوا حتف أنـوفهم أم قتلوا كما قتـل لونـد؟؟ هل كانـوا سادة؟ هل كانـوا بؤساء مستضعفين مثلنا؟ كان الجميع غارقين في هذه التساؤلات التي لم يستطيعـوا ان يجدوا لها جوابـاً مقنعـاً . . بيـد أن أحـدهم لمس حافة معوله عظمة بالية وقال فجأة وهو يشير إلى العظام :

ـ أصـدقـوني القـول!ألم يكن صاحب هذه العظـام ينتهل الحـرمان . . ويغتصب مواطنيه ويطردهم من قراهم ويذيقهم مر العذاب على يد الجنود المأجورين؟ أجابه أحدهم :

ـ ويحـك . . أكـل الأموات سادة متعسفون؟ . . ربما كانوا أنـاسـاً على شاكلتنـا بائسـين لا يحصلون على كفاف يومهم إلا بشق الانفس .

ـ آه منكم أيها الغافلون . . ألا تعلمون أن هذه الرقعة من

الأرض خاصـة بمـدافن الآغا . . . ومتى دفن السادة أمواتهم في مقـابـرنـا؟ متى ساوونـا بأنفسهم ولم ينظـروا إلينـا من أبـراجهم العـاجيـة ونحن في أكـواخنـا الـوطيئة الرطبة القميئة نظرة ازدراء واحتقـار . . أؤكـد لكم أن صاحب هذه العظـام كان يلهب ظهـورنـا نحن البؤسـاء بسياطه . . آه . . إننا عاجزون أن نكيد لهم وهم على قيـد الحيـاة . . أفيعجزوننا وهم هالكون مندثرون وقـد تفسخت أجسـادهم وأكلت منهـا هوام الأرض وحشـراتهـا وشـربت . . أفيكم شخص واحـد لم يسمـه الآغـا العذاب؟ ولم يبرح في تجريحه .

ـ لا . . لا . . ليس فينا من سلم من أذيته .

ـ أيهـا المسكـين . . أن صاحبنـا ملتاع الفؤاد يصب جام غضبه على هذه العظام البالية .

ـ ما بأيـدينـا أن نجابه سلطانهم العاتي . . . ولو استطعنا ان نجتث كيانهم لفعلنا غير مترددين .

ـ قاتلهم الله ما أقسى قلوبهم .

ـ مرة أخرى تلوذ بالأدعية . . . ان الله خلقنا . . ويسر لنا هذا العـالم الـواسـع الشـاسـع كي نحيـا فيـه حيـاة حرة كريمة ونستمتـع بخـيرات الأرض في عزم وقـوة . . لا نستجـدي ولا نتسـول . . الحياة جهاد وكفاح وصراع . . ليست الدنيا الا بيدراً خصبـاً يتنـافس عليه الاضداد ويتزاحمون بالمناكب . . يتسابقون

إليه كي ينال كل منهم حفنة وويل للمتلكئين المتقاعسين. . ويل لهم من الجوع والفاقة والاستخذاء والحرمان. . ان السماء لا تمطر ذهباً. ولن تجد من يأتيك طواعيةً ليدس في فمك لقمةً مغموسةً في الدسم:

- لله درك. . . قد نحقق أمانينا ونبلغ أهدافنا بالتعاون والتآخي.

- إذن لم نحن عاكفون على حفر هذا الرمس. . اذهبوا إلى بيوتكم. . فلستم اجراء للآغا ولا خدماً له.

- لا. . لا.لا.لا تكونوا قساة إلى هذه الدرجة. . علينا أن نقف بخشوع أمام جلال الموت. . يجب أن نكون أكثر تفهماً وإدراكاً لمعنى الموت. . قد يقتل أحدنا الآخر لكن لزام علينا أن يدفن بعضنا بعضاً أليس كذلك؟

قال /بيرمير/ ذلك وهز رأسه. فأجابه شمو في شموخ:

- أنهم يحفرون القبور للسادة بغية التشفي. . . يحفرون لهم القبور ليملأوا أفواههم بالتراب ويطمروهم تحت الحجارة حتى يتأكدوا أنهم لن يحشروا قبل حلول يوم البعث.

- لقد عرفت لماذا تحفر قبورهم. . أجل. . لقد عرفت.

- سأحفر بيدي هاتين قبورهم جميعاً إن شاء الله.

شوتو- سأراكم إن كنتم صادقين يوم يقحم الجنود أنفسهم فيما بيننا.

ـ أيها الرعديد . . . قل لنا إن كان بيننا شخص انت خير منه؟

ـ آه لولا أُمثالك من المخربين لاستطعنا منذ عهد بعيد أن نسترد حقوقنا . . حري بك . . وحري بكل من هم على شاكلتك أن تشبح رؤ وسهم قبل ان نفكر في التغلب على خصومنا ومناوئينا .

شوتو ـ أنتم اليوم أُعداء للآغا ولا ريب في ذلك، غير أنكم تتبجحون وتزعمون وتدعون . . تبجحكم لا طائل تحته . ادعاؤ كم زائف أجوف ان كنتم صادقين فهاتوا برهانكم . . . ان نقتحم داره ونقتل كل من فيها من نساء وأطفال . . . اتبعوني إلى دار الأغا إن لم تكونوا أفاكين دجالين .

زيرك ـ لا . . لا . . لا تقولوا ذلك . . أي بلاء جره علينا الأطفال الابرياء والنساء الضعيفات؟ واعلموا ان السادة ليسوا برمتهم أعداء لنا . . لا ريب أن هناك من السادة من يحسون بآلامنا فلابد لنا أن يكون في صفوفنا بعضهم ليلتئم بهم شملنا . وتجتمع بهم كلمتنا . . سنجعلهم في مقدمتنا ونسير على خطاهم . . ورؤ وسنا مرفوعة إلى العلاء . . . علينا أن نفرق بين السحلية والأفعى .

ـ هذا حق . . حق ما يقول .

ـ ولكن كيف نقتل الأطفال والنساء ولم يسيئوا إلينا ولم يأتوا

بمنكر؟

ـ ولكن لماذا يتفنن تجار الحرب في قتل النساء والأطفال والشيوخ دون ما تمييز . . لماذا يحرقون المدن؟ لماذا يصبون جحيم مدافعهم على الأطفال والنساء جميعاً؟

ـ إنهم . . إنهم ما لنا ولهم .

ـ الرأسماليون يفتعلون بشتى السبل والوسائل اضرام نير ان الحروب واراقة الدماء ليجنوا الأرباح الخيالية من وراء تجارتهم الكاسدة تلك ـ أيام السلم . . . يسخروننا لخدمتهم وتنفيذ مآربهم . ولاأستطيع أن أصدق بأن في الدنيا احداً يمكنه أن ينال ثراء على حساب الحروب . . دعوكم من هذه الأباطيل والأضاليل . . . ان الله قد وسع لهم في أرزاقهم وأفاض عليهم نعماءه . . . انك لم تسمع هذه الترهات الا من طلبة المدارس والمعاهد . . . الارزاق مقسومة بين الناس منذ الأزل .

ـ ولكن لماذا حرمنا من تلك النعم أيها الأعمى النائم .

ـ إننا لا نستحقها لذلك حرمنا منها . . فلوا استطعت انت ولو استطعت أنا أن نمزق جلود الناس لفعلنا . . ثم انكفأنا على وجوهنا هائمين هائجين نتخبط خبط عشواء غير ان الله جلت قدرته «يرعى المرء ويفصل له قبعة تلائم رأسه» .

ـ إن يكن الأمر كما تزعم ، فإن الله عدو للبائسين

المحرومين.

- أنا لست «الملا» حتى أجيبك عن هذه الأسئلة السخيفة.

- أحقاً أيها العزيز... ان الله منحنا الأعين لنبصر بها وأعطانا الأيدي والأرجل لنسعى عليها ونعمل بها... وهبنا هذا الكوكب الأرضي... وتركنا نسرح في رحاب هذا العالم فمن استطاع منا ان يختلس أخاه ويسرقه أثرى على حساب فقر أخيه.. لكن الله يأمرنا بالعدل والاحسان وينهانا عن الفحشاء والمنكر.. وينهى عن الظلم مهما كانت صوره وأشكاله.. علينا - كما أمرنا الله - أن نمد أيدينا بالعون إلى كل مظلوم تمنع الجور... لكن السادة ألقوا بكلام الله وراء ظهورهم وشرعوا يظلمون ويفتكون وينهبون ويختلسون.. يفقرونا ويضعفوننا حتى يجعلوا منا أداة طيعة في أيديهم.

- دعوا مالله لله ومالقيصر لقيصر.. لو أرهقك ظلم أخيك وشدد عليك الخناق أفتظل فاقد الحركة مستسلماً راضياً.

- آه.. كيف لا أثور في وجهه.. سأسمل عينيه.

زيرك - كلا.. كلا... كلنا اخوة لا فرق بيننا ولنكن كما يقول الشاعر: - كلنا أصحاب أرض وعقار.. أثرياء. متعلمون. مرفهون.. يغمر الضياء بيوتنا.. تفعم صدورنا السعادة.أغنامنا ترعى في حقولنا.. مواشينا تسرح في

سهولنا . . . الراجل والفارس سواسية أمام القانون . . ليس فينا سادة أو عبيد . . السجون والأقبية الرطبة وصنوف التعذيب ساقطة من مجتمعنا . . . وجوهنا طافحة بالبشر والطلاقة . . . تهب علينا أنسام الحرية . . فتمسح قلوبنا وتشفي جراحاتنا المثخنة .

الملا ـ طوبى لزيرك ما أبدع ما ترويه من القريض كأن قائل هذا الشعر قد تتلمذ على يد الشاعر /أحمدي خاني/ تغمده الله بالرحمة . . لقد حمل معه كل أمنياته إلى قرارة الرمس قبل أن تتحقق . .

ـ ناشدتك الله من يكون /أحمدي خاني/ ذاك الذي تتحدثون عنه؟

ـ إنه شاعر كردي عاش قبل ثلاثمائة عام أويزيد، . . إن /خاني/ شاعر عظيم، فخم الديباجة . . نظم قصائده العصماء في عصر كان الأوربيون يعيشون في صراع مرير . . غير أن الأوربيين حثوا الخطى في طريق العمل وبناء الحضارة وظللنا في الجهل نعرج في سيرنا ونتعثر ونكبو ولا نكاد ننهض من كبوتنا حتى نعود إلى السقوط . . البنادق والمدافع . . والقنابل وكل وسائل القوة والمدنية تنتجها مصانع الأوربيين ومعاملهم.أما نحن فلا يسعنا أن نصنع محراثاً بدائياً نشق به أرضنا الخصبة .

ـ وماذا يقول (خاني) في قصائده العصماء تلك؟

- يعالج شعر /خاني/ من بين ما يعالجه قصة /مم وزين/ ولا ينسى أن يطعم قصة /مم وزين/ بالطفرات الوطنية.

- لم،لم ينظم /أحمدي خاني/ شعره باللغة الكردية، أفلكم يكن كردياً؟

- بهذه اللغة كان الشعراء الأقدمون يكتبون شعرهم.. بهذه اللغة المطعمة بالمفردات الفارسية كان الكتاب والشعراء يدونون كتبهم وقصائدهم... يزخرفون بها وسائلهم ينمقونها لتنال إعجاب القراء من الشعراء والكتاب الآخرين، أما اليوم فإن الكتاب يحاولون انتهاج لغة مبسطة جزلة لتكون كتاباتهم قريبة من ذهن القارىء.

- إذن منذ ثلاثة قرون دأب الأكراد على الجهاد للتحرر و الانعتاق، لكن لمَ أخفقوا في تحقيق أمانيهم؟

- لم يكتب لأمانيهم أن تتحقق، لأن العداء المستحكم والمشاحنات المستفحلة بين الأفراد والقواد ومناصرتهم لأعداء الشعب حالت دون ذلك.

- إذن هذا ديدن الأمراء والسادة منذ العهود الغابرة.

- وأي خير قدمه لنا رجال الدين والعلماء؟ هل أصلحوا ذات البين؟ هل وفقوا بين الأشقاء المتنافرين؟ هل انتزعوا من القلوب غلها وضغائنها؟ ما همهم أبدا سوى ملء بطونهم بطعام

الولائم، وحشو جيوبهم من ذهب الصدقات. . ماذا كتبوا لنا؟

ـ لا. . لا . . هذا غير صحيح البتـة. . . كثير ون من رجال الدين والعلماء ضحوا بالغالي والنفيس. . ضحوا بأنفسهم وأمـوالهم. . أراقـوا دماءهم الزكية الطاهرة رخيصة وهم يطرقون أبـواب الحـريـة بعنف وتـركـوا لنـا كثيراً من الكتب القيمة لكن الشعب كان مخدر الأحـاسيس. . كثـرة الأعداء غلبته على أمره أما نحن فدراويش متطفلون على موائد العلماء ليس في مقدورنا أن نبدي أو نعيد أو أن نفعل أي شيء.

ـ صحيح، صحيح ما يقوله /الملا/.

ـ ليكن الأمر كما يزعم /الملا/.

لكنكم أيهـا الملا تميلون إلى أولئـك السادة. . ما بالكم تعطـوننـا من أحـاديثكم الشهـد. . وتسير ون في أعقـاب جلادينـا.

ـ الحق أقول لكم. . لا نستطيع مناوأتهم لأننا لا نثق بكم لأنكم لا تستطيعـون التكتـل. ثم اننـا لا نستطيـع التخـلي عما يصلنـا من ريـع الـزكـاة والصـدقات. . . ومن ذا الذي يتكفل باعالتنا لو شمخنا بأنوفنا ورفضنا الصدقات الجارية علينا. . ثم أننـا لا نستشعـر في نفـوسنـا الجـرأة الكافية للخروج إلى ميادين القتال والنضال ومجابهتهم ورغم كل ذلك فإن في صفوفكم كثيراً من رجـال الـدين والعلماء. . . انتبهـوا. . . تحركـوا. . الجنـازة قادمة. . ليبق حديثنا هذا سراً لا يتجاوز شفاهنا.

مقدم الجنازة

الآغـا /والـد لونـد/ رجـل ضخم الجثة طويل القامة.. يحمـل بين أكتـافه رأساً كبيراً.. يزين شفتيه سبال كث.. فوق رأسـه قبعـة يحيـط بها منـديـل مزركش،، يناهز السبعين عاماً. نظراته متقدة ثاقبة توحي بالثقة وأنه كثير الزهو والخيلاء.. الجنازة محمولة فوق نعش تحف بها جماعة من العلماء وطلبة الفقه وبعض النسـوة العـاكفـات على سكب العـبرات.. يمسحن دموعهن بأهــداب خمارهن.. الفتيــان يتنـاويـون في حمل النعش على أكتـافهم والطلبـة يسير ون أمام النعش يتلون القرآن وفي أيديهم المصــاحف.. كثـير ون من هذا الحشـد آتـون من القـرى والضـواحي المجـاورة لقـريـة /دارا/ لتعـزيـة الآغـا في مصابه بعد أن نعي إليهم /لـونـد/ وسمعـوا بمقتله.. كثـير ون آخرون آتون لتقصي ذيـول الحـادث ومـلابسـاتـه ليعطـوا فضـولهم المتشـوق المتلهف ما يشبـع ويغني، ثم ليقبضـوا دريهـمات من والد الفقيد ليسدوا بها حاجاتهم الصغيرة.

.. يقتل /لوند/ ابن زوروآغا. تموت فلذة كبده. فيأبى القرويون مجالسته أو مخالطته يضنون عليه بكلمة مواسية فيتحرق

شوقاً إلى الثأر من قاتلي ولده /لوند/ ولا يستطيع إلى ذلك سبيلاً فتتقطع نفس الآغا كمداً وتذهب حسرات على فقد ولده ويحن حنيناً موجعاً إلى الانتقام من رشو ومن كل من لف لفه من القرويين فلا يستطيع فيلوذ بالوقار والسكينة ويتكلف الجلد ويصنع الرزانة والهدوء كأنّ الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد وكأنّ ولده لوند لم يقتل بيدي زوجة فلاح أشنع قتلة . . وصل الموكب الجريح . . أحاط الجميع بالحفرة التي ستوارى فيها جثة /لوند/ . . بدأ الملا يحوم حول القبر في خفة ورشاقة كصقر نهم طال عليه الجوع ثم أبصر على حين غرة فريسة على بعد رفة جناح . . كان الملا لا يفتأ يتحرك لأنه يعلم أنه سينال حصة الأسد من غنائم /الاسقاط/ على صيام وقسم الميت . . انكب الطلبة على مصاحفهم يحركون شفاههم بتلاوة آيات من القرآن الكريم . . لأنهم كانوا يطمعون في نصيب ولو زهيد من الغنيمة . . بدهي أن يرجئوا دفن الميت إلى ليلة الجمعة ليجنبوه محاسبة منكر ونكير العسيرة ومن ثم سيشترون ذنوبه ببعض من القمح يوزعونه على الفقراء والمساكين على هؤلاء الذين يشرفون على مراسيم الدفن، لذلك فإن المتكسبين بالموسيقى /المطربين الشعبيين/ من جماعة /بك زادة/ يرددون هذه الدعابة :

- شتان ما بيننا وبين الملا . . . إننا نحلم ابداً أن تضرب

الأفـراح أطنـابها. . نتمنى أن يمن الله على الأباء بالبنين لتقام حفلات الفرح. . ونتمنى أن تتحقق أحلام الشباب في شريكة الحيـاة لتعم المسـرة القلوب. . بمـوسيقـانا وعزفنا وآلاتنا المطربة نحصل على خبزنا. . أما / الملا/ فيبتهل إلى الله من أعماقه أن لا يمر يوم دون نكبة أو موت ليحصل على بعض الثياب والمال.

عندما يموت انسان يتجمع المكفوفون والكسيحون وكل ذي عاهـة. يتجمـع الأطفـال والـرجـال والنساء. . يوزع أصحاب الفقيـد شيئـاً من الحلوى على الحـافـين بالقـبر، وقـد توزع عليهم قطـع النقـود غير أن الآغـا لم يحرك ساكناً فما وزع الحلوى ولا نثر نقوداً.فتساءل الأطفال: ـ أين؟ لم ينقدونا قروشاً. ولم يطعمونا زبيبا.

الآغـا ـ لا تهيلوا عليـه الـتراب. . فقـد تأتي لجنة الطب الشـرعي. . وسـوف يأتي رجـال الأمن للكشف على الجثة. . سنضـرب فوقـه خيمـة فليرجى ء الطلبة دفنه إلى يوم الجمعة. . أليس كذلك أيها الملا؟

ـ هذا هو عين الصـواب. . إن من يرجى ء دفنـه إلى يوم الجمعة يسقط عنه محاسبة منكر ونكير سيدي الآغا إن شئت تلوت عليه آيات من القران الكريم بنفسي.

قال ذلـك وبـدأ يقرأ بلغة لم يفهمها أحد من الحضور غير أنهم رفعوا أخيراً أيديهم إلى وجوههم وقالوا: ـ آمين.

ـ ناشدتكم الله ماذا يقول الملا؟
ـ هو أيضاً يجهل ما يقول
ـ لماذا لايقرأ بلغتنا التي نفهمها.
ـ كي نبقى في جهلنا المطبق ويسهل عليهم اختلاس أموالنا وييسر.
بعد الانتهاء من الصلاة توجه الملا إلى الجموع وقال:
ـ أيها الناس.. كيف رأيتم سيرة هذا الميت المدرج في أكفانه؟
لكن لم تصدر عن أحد نأمة.. كان عليهم أن يقولوا ـ لم نعلم عنه إلا الخير ولم نجرب عليه مايغض من سلوكه.. كان طيب القلب رؤوفا بالناس.. مجبولا على أعمال البر غير أنهم سخروا من الملا في قرارة أنفسهم قائلين: ـ في الليلة الماضية كان يحوم حول أعراضنا ثم يأتي الملا يتزلف إلى والده بهذا السؤال يطرحه علينا وكأنه لا يعرف رأينا فيه... الا يدري لم قتلته روشي؟ لكن لماذا لا نرسل الآغا في أعقاب ولده؟
في ليلة الحادث كان الآغا قد أرسل /كرتيلو/ إلى مدينة ماردين التركية ليعلم السلطة بالجريمة النكراء، حتى يدون رجال الأمن تقاريرهم بالكيفية التي تخدم مصلحة الآغا وتشدد النكال على مقترفي الجريمة. فتهامس القرويون:
ـ كان قلبي يحدثني بأن الآغا قد أرسل /كرتيلو/ إلى

المدينة.

- لقد رابني اختفاء/كرتيلو/ منذ الليلة البارحة.

- سنأكل الحلوى على قبر الأغا إن شاء الله.

- ما الأمر؟

- آه.. إنكم تموتون من أجل حفنة زبيب؟

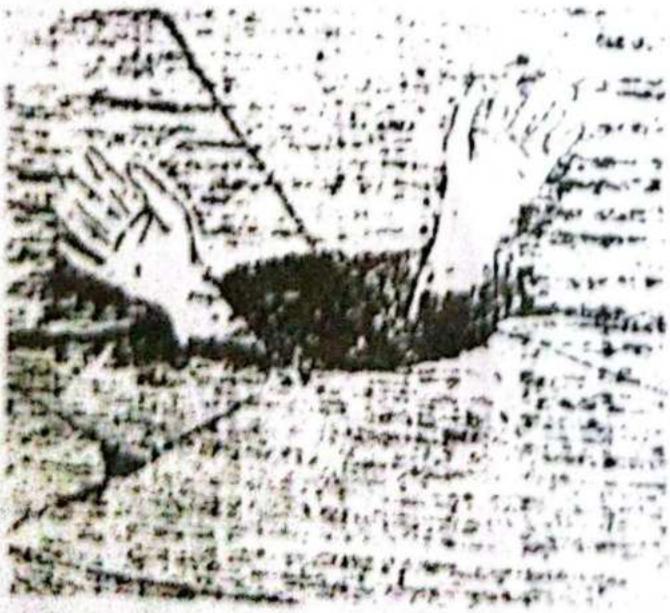
- وهل نأكل مما جمعه الأغا بعرق جبينه؟

- نتضرع إلى الله أن يقتل الأغا كما قتل ولده.

- انظروا إليه.. إنه مقطب الجبين.. مثقل القلب بالهموم.

- لقد نال /لوند/ عقابه الصارم العادل.

- تعالوا نذهب إلى /روشي/ المسكينة.. الله وحده يعلم أية كآبة خانقة تغلف ساعاتها.



العميان

كان المكفوفون قد انتبذوا ناحية وشرعوا يلغطون قال قائلهم:

- بئسَ الفعل ما فعله الملا. لولا ترفه ما رجعنا خائبين نعض بناننا من الندم والحسرة.

- لا تلوموا الملا فإنه يصعب عليه والحال هذه أن يطلب لنفسه شيئاً من الخيرات فهل يهون عليه أن يطالب بشيء لنا؟

- ليشبع الملا وليمت بالتخمة ولنمت سغبا وجوعاً ومتربة.

- لنمت جوعاً ألف مرة.. ربما كان الملا قد أستولى على حصصنا.

- من يدري؟ هو وأمثاله يرددون هل من مزيد؟

- مهما يكن من شيء فإن المشايخ خير منهم.. المشايخ هم والأمراء سواسية يقبل الناس أياديهم ويقدمون لهم الأموال برحابة صدر. أما الملا وأمثاله فهم شحادون متسولون.

- آه.. كلما كان النصل مرهفاً حاداً كان أبلغ في التنكيل والتجريح.

ـ لا تقل ذلك فبينهم رجال أبرار. . نفوسهم كبيرة. قلوبهم نقية طاهرة.

ـ أنا لا أعني الأفاضل منهم

تعلقت الطفلة /شيرين/ بأذيال والدتها تسألها:

ـ أماه. . لماذا يعول هؤلاء الناس وينتحبون؟

ـ لقد قتل ولده يابنيتي العزيزة.

ـ ولد من؟

ـ ولد الآغا

ـ ومن هو ولد الآغا؟

ـ اسكتي أيها الشقية الطويلة اللسان واصمتي.

قالت /كوجري/ لجارتها الواقفة إلى جانبها:

ـ قالوا أن زوجات لوند لم يذرفن عليه دمعة واحدة.

ـ ولم البكاء؟ زوجات لوند كن أروع يمامات بيضاء الريش. . ومع كل ذلك كان يهملهن ويجري وراء زوجات القرويين. . مات لوند وعما قريب ستتزوج نساؤه من رجال آخرين. . ولا غرابة فإن البعير قد ينيخ في عطن بعير آخر.

ـ صه. . صه. . كيف تجرئين على التفوه بهذه الكلمات. . اللهم لا تمتحنا بمثل هذه المصيبة ربما يختار الله زوجي /جمو/ إلى جواره لكنني لن أتزوج من بعده وسأنظر إلى كل رجال العالم كما أنظر إلى إخوتي وأشقائي. . . الرجال

محرمون عليّ مادمت على قيد الحياة. . لقد آليت على نفسي أن لاأتزوج بعد /جمو/ أبداً.

ـ لا تتزوجي. . ولكن لم أنت غاضبة هكذا؟ ليت زوجك يموت لأراك إن كنت تصدقينني القول ولاتتزوجين.

ـ صه. . . صه. . ألا تخجلين من حديثك هذا الجارح الصريح

ـ هه ماذا قلت لك؟ افـتر يـدينا أن نتعارك هنا على مرأى من الناس.

ـ لا. . لا . . من هي التي تستطيع أن تعاركك أو تقارن بك نفسها. . أنك غجرية حقا.

ـ أنـت لسـت مثـلي. . أنـت خير مني ألـيس كذلـك؟ أنك ابنة /قرقريكي/ لا تكونين مثلي.

ـ ابتعدي. . اذهبي. . . ألا تتركينني وشأني؟

وفجأة انطلقت كوجري بعد أن سمعت نداء ـ فردت قائلة:

ـ عمتي. . . إني آتيـة. . ها أنـذا آتيـة. . . هل يبكي شكـرو؟ ليتـك تموت فداء غيرك من الأطفـال لماذا تبكي؟ ليتني أحفر لك قبرا بيدي هاتين. . آه. . منك أيها اليتيم الشرير أنك لا تدعني أغادر البيت لحظة واحدة.

في دار سورو

في المســاء اجتمــع القــرويــون في دار سورو وانخــرطوا في أحــاديث شائكــة متداخلة وكل ينطق بما يشاء له بيانه وتفكيره، قال رستم وقد أشتد به الحماس.

ـ تعالوا نقتل الآغا وسنرى من سيذهب إلى المدينة ليشكونا.

ـ ان صدقتم في ماتقــولــون فلنشر في وجه الجنود، ونحطم العصي على رؤوسهم متى جاؤوا.المهم أن نكون يداً واحدة.

ـ سلو ـ لا . . . . الأفضل أن تطردوا الآغا من القرية.

مو ـ لو قتلنا الآغا فلن تخلوا الدنيا من أمثاله، آلاف مثل زورو آغا ينتزعوا منا هذه القرية.

فرمان ـ عندي الخبر اليقين والقول الصواب ـ أن نتنكب بنــادقنــا وننطلق إلى مكــان وجــودهم وأقتناصهم أينما التقينا بهم وأينما وجدناهم أرديناهم.

شمــو ـ تبجــح ماشــاء لك التبجــح والادعــاء. . مزق /قــماشــك/ فإنـه ملكـك لاينــازعك فيه منازع. . . مزقه كيفما شئت وهويت. . أمثلي يستطيع قتلهم؟

شوتـو ـ أن أستطعتم أن تفعلوا فأفعلوا ولن تستطيعـوا أن تفعلوا إذ لاأرى فيكم خيراً.

خمو ـ ويـل لي من أولئـك الظـالمين المتعسفين. . سأقضي أسى وكمداً من جراء مايقترفون.

شمو ـ جميل منكم هذا القول ولكني أراكم تقولون مالا تفعلون.

سمكو ـ كل يتكلم ولايفهم مايقول.

أحمد ـ . . آه. . ألا ساء مايفعل الآغا ورهطه.

كرو ـ الخير كل الخير أن ننهب الآغا.

ـ ان الآغـا قد عودنـا على الخضـوع فلماذا لانعوّد أنفسنا على الرفض؟

ـ مهلاً سنطيح به.

ـ أأنت أيها المسكين تستطيع أن تطيح به وتخاف من ظلك؟

سورو ـ إن كان لابـد من الخلاص فعليكم بالتضامن فإن أي فرد منـا مهـما كان قويـاً شديـد البأس فلن يمكنـه أن يرهب الآغا أو يوقفه عند حدوده. . لأن له أعوانا أقوياء.

ـ ولكن أليس لنا أعوان؟

ـ بلى. . . . إن الجنود سيشدون على أيدينا.

سورو ـ اعلموا أن الجنود هم من رجال الدولة والدولة هي

مع الآغا وليس أمامنا إلا أن نتآزر وحسب.
- اذن لن يقفوا معنا؟
- متى وقف رجال الدولة إلى صفوفنا؟
- لا... لا.. انهم..انهم لايخلون من رجال كرماء طيبين.
- أنتظروا قليلا.. لنسمع ماسيقوله لنا سورو.
- ترى من يكون الآغا بالنسبة إلى الجنود.؟
- لانرى مانعاً من ذهابكم إلى المدينة.
- هل الحكام أشد تكالباً على المال من الجنود أنفسهم؟
- لاثقة لي بكل ما تقولون.
- المال يحل كل معضلاتكم.
- أجل هذا معقول. ان المال يفعل كثيراً من الأشياء.
- منذ آلاف السنين والمادة تسير عجلة العالم.
- حديث سورو حقّ لايماري فيه ذو عقل.
- اذهبوا وأفعلوا مابدا لكم.
- سندفع المال الذي يكف عنا أذيتهم.
- اذن لابد لنا من جمع المال.. من كان منكم بحاجة إلى المال فعليه بـ /جكوسو/ اقترضوا منه.
- جكوسو- أنا عمكم جكوسو أحمي ظهوركم.
لالـو- أنتم أضـريتم بنـا جكـوسـو وأمثـالـه من المرابين

ليقرضونا مجيديا واحدا بمائة .

جكـــوســـو ـ ليت الجنود يقبلون لأرى هل يستطيع هذا الصعلوك الأخرق أن يرفع صوته ولو قليلا . في تلك الليلة تأهب البعض من القرويين ليقصدوا المدينة وولى آخرون الأدبار ولجأوا إلى المخـــابيء في الجبـــال المحــاه رة لتعصمهم من أذى الجنـود وسطـوتهم ولـزم الكثير ون ببيـوتهم في القـريـة مصممـين على الصمود والتحدي .



تعزية الآغا

المتفقهـون في الـدين من رجـال الـدين والعلماء يحدثـون الآغا عن الحياة الأبدية . . يحدثون عن نعيم الفردوس الأبدي، ويثنون على المؤمنين الصادقين الصابرين -

- هذه الدنيا ظل حائل وحلم زائل . . باطل كل مافي هذه الدنيا الخؤون . . هذه الحياة سراب بل محض سراب وطوبي لمن أعد العدة واتخذ زاده من التقوى والطاعة لملاقاة وجه ربه الأعلى في اليوم الآخر.

في الطرف الآخر من المجلس كان السادة من شاكلة زورو آغـا ومن لف لفـه يتحـدثـون في النهب والقتـل والابادة الجماعية وحرق القرى وتدميرها . . وفي طرف آخر أيضاً كان بعض رجال الـدين يتصفحـون كتبهم ويتبـاحثـون في مسألـة /الاسقـاط/ والأموال التي ستوزع على الفقراء والمساكين من أجل الفقيد.

القـرويـون يتكلمـون همسـا عن تجبر السـادة البـاغـين المتعنتـين . . غير أنـه لم يكن فيهم واحـد يومىء إلى خلاص الـوطن ولـو من طرف بعيـد . . لقـد غض الجميـع أبصارهم عن قضية الفلاح وكأن الفلاحين غرباء ودخلاء على البشرية أو أنهم آتون

من عالم اخـر غير عالمهم . الجميـع يلهجـون بمحـاسن الأغـا وحسناته ، يكيلون له المديح ، ويرثون لولده الراحل بغير حساب ويقولون أن مثواه الجنة الباقية والنعيم المقيم ، فلا يسع الأغا إلا أن يهديهم الشكـر الجـزيـل والثنـاء العـاطـر فيتبـادل القرويون النظرات وكأنهم يقولون -

ترون مدى تعـاضـد السـادة وتكـاتفهم . كلا الطـرفـين يتهافتان على التهام أموالنا واغتصاب حقوقنا .



محضر الجنود

السماء متلبدة بالغيوم . . الظلام دامس . . . الليل يقرب أطنابه على قرية دارا . . . النسائم الباردة تنسل من الكوخ إلى أحشاء الكوخ فتلسع وجه رشووزوجته . الباب يصرويئن . . ينبح /دقو/ نباحاً خافتاً متقطعاً . . القط يجثم في ركن من أركان الكوخ وعيونه تشع بلون أخضر براق . . . المواشي والأغنام تجتر علفها في حظائرها . . . العصافير تتجمع تحت الطنف هرباً من البرد القارس . . . اللصوص مع مايتسمون به من الطيش والتهور والأقدام يرهبون التجوال في هذه الليلة . . . أستيقظ رشو على نباح /دقو/ الهادر وقد جعل قبالته دار الآغا . . . خرج رشو حافياً حاسر الرأس لايرتدي غير أزار مهلهل رث لايكاد يقيه بردا أو يضفى عليه دفء وأحتمى بركن الكوخ أرهف السمع للطارىء الذي استنبح /دقو/ . . . هذا الطارىء الذي قد يباغته هذه الليلة . . . ثم عاد أدراجه إلى الكوخ واندس بين طيات لحافه وأستسلم للنوم . . . لم تمض فترة قصيرة حتى أستيقظت روشي ودقو ينبح . . . أحست بأن الكلب يبتعد عن الباب فوكزت رشو بأناملها وأيقظته وهي ترتعد من الخوف وقالت

ـ رشـو. يارشـو. قم. . . أستجـل حقيقـة الأمـر لم يهدأ الليلة نباح دقو. . . قم. . . . . قم. . لعله يحس بقدوم إنسان.

ـ ليأخـذ اللصـوص ماشـاؤ وا. . . عما قريب سيكـون مانملكـه نهبـا ميسراً للآغا والزبانية من الأتراك. . سيان عندي ان جاء اللصوص فنهبوا أو الجنود. . . .

تأوه رشـو ثم دثـر رأسـه بطـرف اللحـاف وأغمض عينيه وأستغـرق في النـوم. . . ـ لكن روشي تجهل كيف تجلب لعينيها المقـرحتـين نومـاً. كانت تسبـح في خضم الحـادثـة التي صنعتها بيديها فلاتكف عن البكاء وحينما تتذكر كلمة زوجها / عما قريب ستكون مانملكه نهبا للآغا/ تقول في نفسها:

ـ ياللمسكـين رشو. . . أغرقه بحر التشاؤم حتى تبدت الأشيـاء كلهـا في عينيـه قاتمـة سوداء. . في كل ليلة كان يوسـد رأسي بذراع ويضـع يده الآخـرى فوق صدري. . . كان يزيح خصلات الشعر عن جبيني ويحدق في عيني بشوق ولهفة. . . كان ينظـر إلى وجهي بإمعـان وكأنه جغرافيّ يقرأ على صفحة وجهي كلمات مضـيئـة ترسـم حدود بلاده. . . كان يقـبـلني بشـغـف ونهم. . يقبلني في شفتي كأنـه يطفىء بذلـك اللظى المتأجـج في جوانحـه. . . يحضنني. . . كان يعضني في جيـدي أحيـاناً. . . يجثمني على صدره بحنـان والتيـاع كما يعبث طفـل بدمية عزيزة عليـه، ولايـدري لعبثـه حدوداً. . . الآن يستدبرني ويتأوه. . .

ويستسلم للأحلام المرعبة. . . ستبا لي كيف أبحث لنفسي أن أحمله هذا العبء الثقيل؟. .

تذكرت روشي بغتة وقالت:

ـ سيأتي الجنود. . . سيضربون القرويين. . . ولا طاقة للقرويين المساكين بتحمل تلك الآلام المبرحة لا. . . . . لا لن يكون الجنود كفرة أو وثنيين ليضربوا فيمعنوا في الضرب. . قد أكون جميلة. . رائعة الجمال. . . كان لوند يقول لي أنك تضرمين النار في قلبي بجمالك الأخاذ ثم تصدين عني فتمزقين كياني. . . ليمت هذا الجمال بسموم الأفاعي. . . ليذهب هذا الجمال إلى الجحيم. . . هذا الجمال الذي سيزج رشو بسببه في السجون حتى يبلي. . هذا الجمال الذي كان ذريعة للقتل والجريمة. . . . لكن لاأعلم أي ذنب أقترفه القرويون التعساء؟ ان نارنا ستحرق الأبرياء. كل ذلك من أجلي أنا. . . ليت الله لم يخلقنا معشر النساء وتركنا سرا من الأسرار ليت الله أهملنا في زوايا العدم. . . تمزق الصمت. . . أرتفع نباح دقومرة أخرى وروشي ماتزال في تأملاتها. . . كان النباح هذه المرة مدويا يملأ آفاق القرية فأدركت روشي وأيقنت أن طارئاً قد داهم القرية فأنتعلت حذاءها وأرتدت ملابسها على عجل وفتحت الباب تسترق السمع فسمعت صوتاً توقعه سنابك الجياد على الأحجار في أزقة القرية. . . رأت في الظلام وعلى

بعد أشباح فرسان سمعتهم يرطنون باللغة التركية . . . رأت منزل الأغا ينبعث النور من نوافذه . . . . الآن مجلس الأغا حافل بالضيوف . . الجنود آتون . . . الأنسام تهب باردة مصفعة البرد قارس لاتدفعه الملابس الصوفية لكن روشي غافلة عن ذاك الزمهرير . . . تتمثل لها صورة الزنزانة . . . . صورة السياط والعصي التي ستنهال على الرؤوس . . . كانت الريح تمضغ خمارها وتعبث بمئزرها وتلفه حول جسدها . . رجعت إلى الكوخ مذعورة وجله لاتعبأ لجسدها المصلوب على جذوع الصقيع . . . أطفأت السراج . . لكمت بيد مرتعشة جبين زوجها . . . أزاحت الشعر المنسدل على جبهته . . . . غيضت عبراتها وهتفت ـ

ـ رشو . . . رشو . . . ماذا يحدث لك؟ لم لاتلتفت إلى؟ أساخط أنت على زوجتك الوفية المخلصة؟ اعلم أني مخطئة مذنبة وأعلم أنه سيلحق أذى لاقبل لك به من أجلي . . من أجلي أنا ولاسلطان لك على دفع تلك الأذية ولكن ماالعمل؟ أنه القضاء المبرم . . . لكن . . . لكن . .

ثم أغرقت العبرات كلماتها . .

اخيراً أستدار إليها رشو قائلاً ـ

ـ لا . . لا . . . لست ناقما ولاساخطاً . . لقد تجرعت كل هذه الالام وجرعتنيها لأنك رفضت ان يطأ غريب أرض روضتي

النقية الطاهرة. . أنك لم تتهاوني في الحفاظ على كرامتي وسأظل لك شاكراً ممتناً مابقى لي من عمر في هذه الدنيا الفانية. . . .
لا. . . . لا. . . . أنك لست الملومة ومافعلته كان عين الصواب.

أمسك بيدها ضم يدها بين يديه الكبيرتين بلطف وأناة ورقه كما يضَعها على طائر صغير وقال ـ

ـ سأنحت لك في طيات قلبي تمثالا مقدسا. . سأصون ذكراك في جوانحي وسيحفظ الشعب كله ذكراك على صفحات الكتب والأسفار وسوف يبقى اسمك نابضاً حيا على شفاه فتياننا وفتياتنا مدى الدهر. . . لاتخافي. . . ان الله لن يضيعنّا. . . ولو أننا قتلنا ومثل بنا لظللنا أحياء في أفئدة الأجيال لانموت، ولكن لماذا أنت باكية؟ لم البكاء ياعزيزتي؟ البكاء لايجدينا نفعاً. . لقد أخذنا على عاتقنا مجابهة الأحداث الجسام. . قد نقتل. . وقد نعلق على أعواد المشانق من يدري؟ علينا أن نتذرع بالحكمة والصبر والاناة ونخلد إلى الثبات والعزيمة ونحن في خضم هذا البلاء المتلاطم. . . . نحن بحاجة إلى أن نرفع من معنوياتنا لا أن نثبط عزائمنا. . أهكذا تشجعينني وتبثين فيّ العزيمة والصبر والناس يتحدثون / أن روشي أشد جرأة وبسالة من زوجها رشو.

روشي ـ كلبنا دقو لكثير النباح هذا الصباح.

رشو- ربما ذهب أحدهم باحثا عن ماشية ضائعة أو بهيمة ضالة فنبحته الكلاب.

- لا . . . لا . . لقد سمعت صوت حوافر الخيل.

- اذن فقد أتى الجنود . . الهذا كنت تنتحبين؟ هل تذكرت السجن والسياط والتعذيب.

ضم يدها بين يديه وقال

- لاتخافي . . . ان طريق الشرف شائك وعر محفوف بالمتاعب والصعوبات ولابد لنا من مكابدة الأهوال وقديما قالوا - وفاز باللذات الجسور. وقالوا /محال أن تصل يد الرعديد إلى نحرٍ عاجي. وقالوا /مائة جبان فداء لمقدام جرىء واحد.

نهض رشو واتجه إلى الباب فقالت روشي -

- إلى أين؟

- سأقوم بإيقاظ القرويين وأنبههم إلى الخطر المحدق بهم حتى يحتاطوا لما يترقبهم فلا يباغتهم الجنود ويلقون القبض عليهم.

رجع رشو إلى داخل الكوخ وقال لزوجته روشي -

- اني أسمع جلبة مريبة خلف الدار. . الا تسمعين أصواتهم؟ ثم أسند ظهره إلى الباب فأردفت روشي قائلة -

الم اقل لك؟

- ليتك قلتها قبل حين.

ـ فما العمل؟

ـ لو أنهم كانوا أكرادا يتكلمون لغتنا لعرفت كيف أواجههم وأخاطبهم وأفحمهم لكن أمر أولئك الأتراك عسير ولاطاقة لي بهم . . . ينوء تحته كاهلي، أنا وحيد . . اليد الواحدة لاتصفق ومـاأن وصل رشو إلى نهاية حديثه حتى سمع وزوجه طرقاً شديداً على الباب وداعيا يقول:

ـ افتحوا الباب . . . . افتحوا . . قلت لكم افتحوا أتسمعونني؟

وعلى أثر هذا الهتاف ركلوا الباب بقوة وفتحوه عنوة ثم اندفعت شرذمة من الجنود بوجوههم العابسة . الكالحة متوعدين مهددين ثم تفرقوا في أرجاء الكوخ . . كان الكوخ معتما فأوقدوا سراجاً فتبددت ظلمة الكوخ وحالما التقت اعينهم برشو أنهالوا عليه ضربا بالسياط والعصي وقالوا ـ

ـ تكلم أين أخفيت بندقيتك؟

تحطمت العصي على رأس رشو . . أشبعوه ضرباً بخماص البنادق . . صار جسده ميداناً للخبط . . والضرب وقرقعة السياط وزفيفها . . . حطموا الدنان . . كسروا الجرار وكل الأواني الفخارية . . . . أفرغوا أكياس الذرة بعثروا القمح والشعير . . . هدروا البرغل والعدس . . . . ماتركوا في البيت متاعاً دون أن يمسوه بسوء . . لم يتركوا في الكوخ رقعة واحدة

دون فحص وتمحيص . . . . ولم يدعـوا بقعـة واحـدة من جسم رشـو دون أن يجربـوا عليها السياط وأخيراً شدوا وثاقه . . كذلك شدوا وثـاق روشي . . قادوهما إلى دار الآغـا وهم يضـربـون ويصـرخـون ويلعنـون . . . كان رشو صامتاً لايتبرم . . . يدفعه الجنود فيتعثر أحياناً . . . حتى اذا دنوا من دار الآغا زاد الضرب ضراوة . . . . . علا الصـراخ أكثـر فأكثـر سمعهم الآغا فانشرح صدره . . أن يسمعهم الآغـا فتلك بغيتهم وإليها رموا وفي ذلك متنفس عن حنق الآغـا فإذا رضي الآغـا زاد مايدفعه من الرشوة وفي داخـل الـدار التقت عينـا رشـو وزوجتـه برجـال آخـرين مكبلين . . . متقلصين مكمشين على أنفسهم تصطك أسنانهم من الـبرد والضـرب يتبادلون فيما بينهم نظرات مختلسة كأن النظر محرم عليهم، ولايجرؤ ون على الكلام وكان سوريو بين المكبلين فقال في صوت خافت ـ

ـ كيف حالكـما؟ قال ذلـك وهو يجاهد الألم بصعوبة بالغة استطـاع ان يتفـوه بهاتـين الكلمتـين فردت روشي في صوت خفيض ـ

ـ نرجـو لكم السـلامـة والعـافيـة . . لن نعبأ بكـل ماسيحدث . . . لكز رشو زوجته قائلاً ـ

ـ اصمتي . . انهم خلف الباب يسمعون حوارنا .

فقال سورو بصوت قريب من الهمس .

ـ ليس الـذنب ذنب الجنـود . . المـذنبـون الحقيقيون هم أولئك العتاة الوالغون في دماء الشعب الذين يلقون بنا بين براثن الاعـداء المتـوحشـين . . . علينـا ان لانـدع الخوف يتسرب إلى قلوبنـا . . قد يكـون خلاصنـا قريبـا . . قريبـاً إلينـا من أنفاسنا فلنتـذرع بالصـبر والجلد . . . . قد يعيـدون الضـرب ولكن له نهايـة . . . الضـرب والتعـذيب لهما نهاية لكل شيء نهاية وأخيراً سننتهي ومعـه ينتهي التعـذيب، مطلوب منا الآن ان نجتاز هذه المحنـة الكأداء بقلوب صلدة ونفـوس أبيـة لاتخـاف من شيء ولاتأس عليـه . . لكنـا نأسى وتأسف على مآل إليـه حالكما . . ان امركما يعنينا أكثر من أي شيء آخر ولاتبالي بما يجري لنا ـ ان الذي يخوض في البحر سيان عنده ان تغمره المياه الى الركبتين أو الاذقـان . . . اننـا لانبالي ان علقنا على أعواد المشانق، قد تبلى الأيـام أجسـادنـا في السجـون فتسعدكما أيامكما القابلة . . ليتنا قتلنا /زورو آغا/ وجرت المقادير بما كانت ستجري .

شرو ـ سنقتل الآخرين لو ان في العمر بقية .

سمو ـ لقد ضقنا بهم ذرعا .

خمو ـ اصبر وا قليلا . . . سيأتي يوم نأخذ فيه بثأرنا .

شوتو ـ لقد قلت هذا مسبقا .

زيـدك ـ ليس الـوقت وقت مشـافهـة وكـلام . . . علينـا بالشجاعة والايمان والصبر .

في الليـــل كان البعض يئن من الألم والبعض الآخـر ينـام لماما والبعض الآخـر يسـترسـل في الحـديث حتى انصرم الليل واشرقت الشمس.

بزغت الشمس وأرسلت أشعتها الحمراء من خلال الغيوم إلى قمم /جبـل قادي/ كأنهـا تريـد أن تستشف الحجب عن مخبـآت الليلة الـراحلة، وتـرفـع الاسـتـار عن وجـه الظلم حتى يتعرف الجميع على هوية الخطاة المذنبين وحتى تستنشق الأنوف كل الأنـوف روائـح الاستعباد والقهر والاذلال وحتى تنتشر ذيول الحـادثـة الآخـيرة فتسمع بها كل الآذان وتراها كل الأبعاد، وان تمسي القصـــة التي نسجت خيـــوطهـــا في الظـلام وحيكت من شغاف كل القلوب قصة تهز كل المشاعر.. كأن الشمس كانت تبتغي من وراء اشعتهـــا المحـــرقـــة أن تصلى قلوب البـــاغـين الظـالمـين... غير أن الغيوم الكثيفة تصدها أحياناً وتحول دون تحقيق مأربهـا.الجميـع يرفعـون وجوههم الى الشمس طالبين أن تمنحهم القوة وأن تفيض عليهم حياة عزيزة كريمة لكن السحب مرة أخرى تأبى عليها ان تلبي لهم مطلبا مسيسا... ربما أنبثق بصيص الشمس كالنصـال تطعن كبد السحب ولكن البصيص لايلبث أن يختنق وراء ركام السحب.

أفـاق المكبلون من سبـاتهم في هرج ومرج فزعين يترقبون أن تنهـال عليهم سيـاط العذاب تتراءى لهم صور الجنود....

يتلهفــون إلى رؤ يـة وجـه قائـد كوكبـة الفرسـان التي اسرتهم كالصـائم يترقب مطلع هلال العيـد. . . يتشـوقـون إلى شفتيه اللتـين يتعلق بهما مصـيرهم أجمعــين. . اطـلاق سراحهم او أســرهم. . فهـل تنطق شفتـاه بنعيمهم أوشقـائهم؟ كم منهم سيبقى في الأسـر وكم منهم سيلقى به في السجـون؟ كم يلزمهم من المـال لشـراء حريتهم فهم الآن عبيـد بل أذلّ ومتى سيطلق سراحهم؟ كل ذلك مرهون بشفتي الضابط الذي لم يروه بعد.

استيقـظ القـائـد. . جاؤ وه بماءوصـابـون فغسل وجهه. ارتـدى بزتـه العسكـريـة المرقشة بالنجوم قال للآغا وهو يحتسي فنجان القهوة متملقاً وقد تعلق فكره بما لدى الآغا من الذهب - سأذيقهم العذاب في الطريق حتى يلفظوا أنفاسهم. . سأقتلهم سأقتلهم قبـل أن يصـل الـركب إلى المـدينـة. سأتـرك جثثهم الهـامـدة في العـراء ومـاهي الا هنيهـات حتى يكـونـوا اثـرا بعد عين. . الـرجـال والنسـاء يتهشمون تحت سنابك الخيل، أليس هذا جزاءهـم العـادل؟ أفليســوا قتلة سفاكين للدماء؟ الم يخرجوا على ارادتـك؟ ألم يشقـوا لك عصا الطاعة؟ ألم يمتنعوا عن دفع الاتاوة والخراج؟ ألم يستنكفوا عن مجالستك ومخالطتك؟ في الليلة البـارحـة كان الآغا الجاهل المغفل قد أشبع نهم القائد إلى المال كان قد دس في جيبه ليرات من الذهب ليسمح له بالانتقام من القـرويـين بيـديـه إمعانا في التشفي والشماتة. . لا يهم الآغا كم

يبذر من الأموال وكم يبذل لهؤلاء الغرباء لأن هذه الأموال مسروقة من عرق الفلاحين لذلك فها هو يتزلف إلى القائد يبتغي رضاه بمال الفقراء قال له الآغا . . .

ـ سيدي القائد . . . ليس القرويون جميعاً خطأة مذنبين . ليس جميعهم خصومي واعدائي ان بينهم أبرياء مخلصين . . فقال في خبث ـ

أتقول أنهم أبرياء . . مخلصون . . لا . . . لابد من قتلهم جميعاً .

. . إن الذين استمعوا إلى هذا الحوار أدركوا أن الآغا يحاول تبرئة ساحة بعضهم ليسلبهم المبالغ التي دفعها للقائد . . القائد يعمل جاهداً كي يفهم الآغا أنه لم يغبن في كل مادفعه من الرشوة فصرخ في الجنود قائلاً

ـ هيا احضروا العصي .

قال الجنود بصوت واحد .

السمع والطاعة سيدنا . ثم خبطوا الأرض بأحذيتهم الضخمة الثقيلة ورفعوا أيديهم بالتحية وانطلقوا لايلوون على شيء ، ثم عادوا وهم يحملون العصي وبدأوا يسير ون في ساحة الدارجيئة وذهابا . . تجمهر القرويون يحدقون إليهم من خصاص البوابة الكبيرة ، يلهثون من الرعب والخوف وقد بهتت ألوانهم ، فإذا وجوههم فاقعة ذابلة ويقولون ـ

ـ لقد ساقوا المواشي والاغنام وكل دابة إلى دار الآغا . . . قالـوا ايضـاً ـ لقـد رأينا كرتيلو يرتدي ملابس جديدة من ملابس الآغا . . كان يتناول مدية ويطوف بين قطعان الخراف ينتقي منها كل خروف جيـد للذبـح ولاعـداد طعـام الجنـود وسيـدهم الضـابـط . . . سيطردنا الجنود من القرية وسوف يفرغوا لتعذيبنا وامتهـاننـا . . ان الجنـود لم يبقوا على شيء . . . أخذوا الأساور والـدمـالـج . . أخـذوا الذهب والثياب وكل حلي . . كل أمتعتنا امتدت إليها يد النهب والسلب واستقرت في جيوب الجنود وجعبهم .

أخـيراً دخـل القـائـد /نوري بك/ يتبعه زبانيته ، فهب القـرويـون على أقـدامهم مذعـورين متطـامنـين يوزعون عليه نظـرات الخـوف من أخمص قدميـه إلى قمـة رأسـه حذرين متـوجسـين . . . رأوه بعيونه الجاحظة التي تكاد تثب من محاجرها ورأسـه الضخم وشعـر سبـالـه الاشعث المتلبـد وبطنـه المنتفـخ المكـرش وثيـابـه الضيقـة الملتصقـة بجسمـه وقبعته السوداء . . ووجنتيه الغائرتين كقبر متهدم قديم ووجهه العابس المتغضن .

انهـالت العصي . . حفيف السيـاط يدمي المشـاعـر الانسانية . . . الآهات تمزق نياط القلوب البكاء يفطر قلب الحجر . . . .

تدخـل الآغـا بين الجنود وبين بعض القرويين ، ليبث في

صفوفهم الفرقة والفوضى ليسهل عليه ابتزاز أموالهم بأيسر السبل فقال -

سيدي الضابط . . . اقسمت برأسك ليس هذا الرجل بمذنب . . انه لم يكن معهم . . . اتركوه . . كفوا عن ضربه ثم خاطب القرويين -

- ألم أقل لكم لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة فأبيتم وركبكم الغرور فذوقوا هذا العذاب جزاء مااقترفتموه . . . ليس في اليد حيلة وعلى أية حال لاتستسلموا للخوف واليأس . . سأحاول اطلاق سراحكم . . بهذه الكلمات كان يدخل قلوب القرويين وهو يعلم أي شرك ينصب لهم .

الفخ مطبق على القنيصة . . لاتستطيع الفريسة خلاصاً من أذى الجنود . . لكن ماذا يمكنك أن تقول . . ليس من آذان صاغية . . . كلت أيدي الجنود من الضرب . . لم تعد الأيدي قادرة على تحطيم العصي على الرؤوس والوجوه . . . أشفق الجنود على أيديهم من التعب والكلال فخرجوا . . . أغلقوا الأبواب باحكام .

الآغا : سيدي الضابط استميحكم عذراً . بين هؤلاء الأسرى أبرياء لاذنب لهم . . . اهيب بكم أن تشملوهم بعفوكم .

الضابط - فليكونوا عفو عينيك . . تصرف بهم كما

تشاء. . انهم طوع يديك.

اندس الآغا بين القرويين يهول لهم حال السجن ومايننتظرهم من عذاب أليم. . قال لهم ـ اني أحاول جهدا تحرير رقابكم من اغلال هؤلاء الجنود القساة القلوب. . . لكنني. صدقوني انني بحاجة إلى بعض المال أملأ به أفواه أولئك المتجبرين وأقطع به السنتهم. . . ان جشعهم كما تعلمون ليس له حدود. . هه. . . أكنتم تبحثون عن هذا المصير؟ ألم أقل لكم كفوا عن عنادكم وتصلبكم؟ فاجنوا مازرعته أيديكم ألا تعلمون أن من يزرع شوكاً لايقطف ورداً. . رغم كل ذلك مازلتم بمثابة أولادي. . ومازلت أشفق عليكم من أي سوء قد يمسكم. . مابالكم تحومون حول أولئك القتلة الاشقياء من نظائر رشو وسورو وسلو وشرو. . يقتل ولدي لوند ثم تعمدون إلى إغاظتي والالتفاف حول القتلة الغادرين. . انهم لايعلمون أن أجسادهم ستهترىء في ظلمات السجون. . وسوف تقتات الهوام والحشرات من أجسامهم. . هيا أسرعوا. . كلفوا زوجاتكم أن يجمعن لكم دراهم نستطيع بها عتق رقابكم وفك أسركم قبل أن يربطوكم إلى خيلهم ويسحبوكم حتى المدينة. . اعلموا اني حريص عليكم واحاذر عليكم من الانسام. . تغلبت كلمة الآغا المثبطة للعزائم على نفوسهم وأثارت فيها الذعر فتعلقوا بأذيال الآغا وقالوا:

- لك ماتـريـد . . كل أمـوالنـا ومتـاعنـا ورقـابنـا تحت تصرفك . . أنت فينا بمثابة الرأس ونحن لك بمثابة القدمين . . مازال الشرف قائماً فيكم منذ غابر الأزمنة . . أتتكم السيادة كابرا عن كابـر . . مازلنـا خدمكم ومـواليكم فارأف بنـا وخذنا بعفوك العظيم . . اغفـر لنا . . . واعف عنا . . أرحم ضعفنا ولاتشمت بنا الاعداء والحساد . . . اننا بكم عائذون وبحماك لائذون وإلى كرمك ملتجئون -

- عاهدوني على أن لاتعودوا الى شغبكم وممالأة أعدائي .

- سيـدنـا الآغا . . لك السمع والطاعة . . أمرك فينا نافذ مطاع ومتى عنانا أمر رشو وزوجته؟

- هيـا أسـرعـوا . . اعطـوني مالـديكم من مال لأستطيع العودة إلى /نوري بك/ .

جمع القـرويـون ماستطاعوا جمعه من المال وسلموه للآغا عن طيبـة نفس شاكـرين له حسن صنيعه . وعادوا إلى جيرانهم من القرويين .

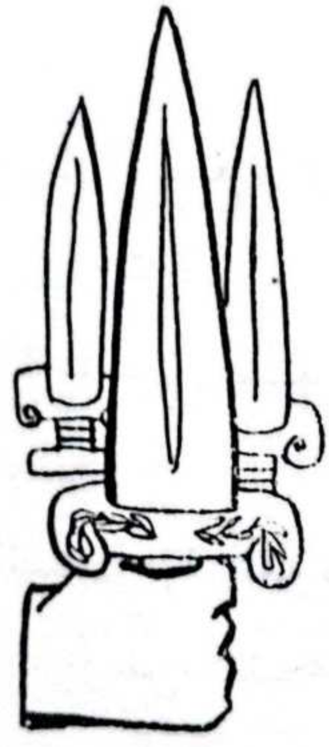
أدرك سورو كل ماجرى لكنه صم أذنيه واطبق شفتيه . . ووشوش رستم في أذن زيدك

- انظر إليهم كيف يطاطئون رؤوسهم في خجل .

- كذلك يبدون لي . . انظر إلى اطراقتهم . . إلى نظراتهم

الحسيرة . . إلى أجفانهم الذاوية الغضيضة لايجرؤون على التطلع إلينا كان بيننا وبينهم شمساً متوهجة تغشى على ابصارهم . . منذ القديم والدنيا على هذه الحال لايخلومن الجبناء الرعاديد .

ـ دعوهم وشأنهم . . لاتتكلموا على مسمع منهم .



جلاد الجنود

عندما توسطت الشمس كبد السماء أخذ الجنود عدتهم للرحيل وساروا يزجون القرويين ويزجرونهم وسياطهم لاتكف عن الحركة والضرب. . . . كثيرمن القرويين عادوا إلى بيوتهم بعد أن اشتروا حرياتهم ببعض المجيديات أو دراهم بخسة.

حثّ الرقيب /برهان/ فرسه حتى حاذى حصان الضابط /نوري بك/ وقال مخاطبا في شيء من الامتعاض.

- اعتقد جازماً أن زورو آغا قبض من القرويين أموالاً طائلة ولم يعطنا منها إلا البخس اليسير.

- هه. . إذا كان الأمر كذلك،فأمُر الجنود أن يرفعوا عنهم الضرب والتعذيب. . انني أعلم كيف سأتصرف. أيتخذ مني زورو آغا هزأة وملهاة؟. . سيأتي يوم أفقأ فيه عينيه.

عاد الرقيب /برهان / إلى الجنود وأمرهم بصوت مجلجل أن يكفوا عن الجلد.

وحين بلغ الموكب قرية كراشيك قال نوري بك للرقيب برهان اذهب إلى هؤلاء القرويين الأسرى علهم يملكون شيئاً فخذه منهم لنطلق سراحهم. . ومن قتل في القرية فليذهب إلى

الجحيم وبئس المصير . . هيا يارقيب برهان هيا .

أعتق الـرقيب البعض،فرجعـوا إلى بيـوتهم وحـين وصـل موكب الجنـود والقـرويـين الآخـرين إلى مشـارف مدينة ماردين أطلق سراح البقية الباقية منهم غير رشو وزوجته،فقد ساقوهما في أغلال حتى أودعوهما السجن . . قال سورو للعائدين :

ـ أذهبـوا إلى بيـوتكم . . أنبـذوا من بينكم كل خلاف وشقـاق . . اتحـدوا وتكاتفوا وتعاضدوا وليجالس بعضكم بعضا وليكن أمركم شورى فيما بينكم ثم فليمت الآغا بغيظه، وسوف أذهب إلى المـدينـة لتوكيل محام يدافع عن قضية روشي . . ولقد رأيتم كيف أعتق الجنـود القـرويـين بعد ماقبضوا منهم حفنة من المجيديات . . انهم خوافون غدارون .



في منزل سورو

عندما خيم الليل على القرية اجتمع القرويون في دار سورو يسترسلون في الأحاديث ويتضاحكون.

ـ كأني بك قد أشعلت النيران في شعرك.

ـ هل زلت بك قدماك عن سطح الدار ياسمو.

ـ ماهذه الندبات على وجهك؟

ـ هه... الجنود قادمون مرة أخرى.

ويحك لقد اخفتنا.

ـ اللعنة على الجبناء المنهزمين.

ـ لا.. لا... لاتقولوا ذلك.

ـ بل قولوا آمين.

ـ آه ياسلو ان حظك لأكبر منك.

زيرك ـ مافات فات دعوكم من الماضي فلن تقدروا على اعادته.. كونوا ابداً يداً واحدة لاتزعزعكم الأحداث رأيتم بأم أعينكم كيف عاد الجميع الى بيوتهم بدون استثناء،عاد الخائن الضعيف والصلب القوي على حد سواء.أن أحداً منكم لم يمت تحت التعذيب فقد كان للتعذيب نهاية.

ـ بابـير ـ اه ياولـدي . . الحق أقـول لكم . . . أخـافتنا العصي المنهـالـة على رؤ وسنـا . . أنتم أيها الفتيان يملأ أهابكم الـزهـو والتبجـح . . ليتنـا كنـا في حرب حقيقية عدادها البنادق والـرصـاص لرأيتم مدى صمودنا وثباتنا تهزؤ ون بشيوخكم وهم ارشـد منكم جلدا في ساحـة الـوغى . . لكن العصي ـ الحق أقول لكم ـ أليمة لاصبر لنا عليها ولاجلد وليست لحومنا مجبولة من حديد .

ـ لا . . لا . . أيها العم . . . لانلقى عليكم ملامة ولستم ملومـين ولانـحـمـلكم عتب ولانـدينكم بشيء من التهـاون ولانستهـين بكم . نعلم جيـداً انكم قاسيتم كثـيراً من الأهـوال والمتـاعب حتى لم تبقـوا مزيـدا لمستزيد . . اني ومازلت أذكر تلك الغـارات الـوحشيـة التي كنتم تقتحمون خضمها وتتعرضون لها بكل مافيها من شدائد .

لالـو ـ الحمـد لله الذي جعلني أتغيب عن الدار أيام تلك الحرب الطاحنة . قال أحدهم هازئاً :

ـ ليتك يا لالو وقعت في شرك أولئك الجنود .

ـ دعوكم من هذا المزاج . . تكلموا في شيء آخر .

سلو ـ أصغوا إليّ . . سألقي عليكم سؤ الا : أكانت ماردين فيما مضى من الزمن مدينة مزدهرة ، عظيمة الشأن ثم هوت على مر الأيام ،وأفل نجمها وتقوضت صر وحها وابراجها فاني أرى فيها

أطلال وأعمدة تناطح السحاب .

زيرك - أتقول إن سادة الآغا أشاعوا فيها الخراب والتقويض؟

قرمان - آه . . ماالعمل؟ . . إن كانت بلادنا بأسرها أطلالا فما العمل؟ حتى هذه القرية ستتحول إلى انقاض

جكوسو- نبتهل إلى الله ان تكون مواسمنا خصبة وغلالنا وفيرة هذا العام .

على الأقل كي نستطيع تبرئة ذممنا . . نؤدي لك ماعلينا من ديون مستحقة . . لاتخف سنسدد لك كل ديونك . - قل كم أقرضت الآغا؟

انني اعطي الآغا بكل رضى . . أأعرض نفس مثلك للضرب والسجن؟

همس رمو في أذن رستم :

- أمثال جكوسو شرٌ من الآغا وزمرته فلندع الله مخلصين أن لايسلطوا علينا ويخرجونا من ديارنا . . . هؤلاء الجشعون المتكالبون يثقلون قلب الشعب بالهم والأسى أكثر مايثقله الآغا . . . هؤلاء لاحرج في قتلهم ولا إثم . . . لابد من الاطاحة بهم إن شئنا ان نتغلب على أعدائنا .

- الذين لم ينهزموا لم يرزؤ وا في أموالهم . . صمدوا كالأبطال الميامين . . وولينا الأدبار كالجبناء .قولوا ! ؛

- اي ضير مسّ أولئك الصامدين .

شوتو - أصابع يديك ليست متشابهة . . . من البداهة ان يكون بيننا خير ون وأشرار.

لا . . . لا . . لاتقولوا ذلك . . كلنا خير ون . سنكون أكثر ثباتا في المرات القادمة .

في صباح اليوم التالي تهدم جدار في دار الآغا فلم يهرع إليه القرويون لترميمه وامتنع الرعاة من أمثال لالوعن تسريح أبقار الآغا في السهول لترعى الكلأ.واستنكف هوفوعن رعي قطعان الأغنام في المروج . فما مضت إلا أيام قلائل حتى أذن الآغا بالرحيل عن القرية والهجرة إلى مكان لم يعلم القرويون إلى أين .



في المحكمة

صعد القاضي والمدعي العام منصة المحكمة . . رفع القاضي صولجانه . . أهوى به مرات عديدة على المنصة فكتم الحضور أنفاسهم وكانوا قبلا قد حسروا رؤوسهم وأمسكوا بقبعاتهم في أيديهم كما هي العادة المتبعة في المحاكم التركية . . . انهم الآن ساكنون هادئون لاتكاد أجفانهم تطرف . . المحامون في بزاتهم وأزيائهم الرسمية واقفون في مقاصيرهم . . القاضي في هذه المحكمة رجل صلف . . طويل القامة بل هو فارع الطول تميل جثته إلى الضخامة . . قد وخط الشيب شعر رأسه الذي يبين قليلاً من تحت طربوشه . . يتلفح برداء أسود هو إلى المعطف أقرب . . يهمس ويوشوش إلى المدعي العام غير أن أحداً من الحضور لايدري بم يهمسان ويوشوشان . . . القاضي ينظر من حين إلى آخر نظرات نارية متقدة إلى المتهمين . . . . أما المساعدان فيقفان موقفاً وقوراً رزيناً لايلتفتان الى شيء مما في القاعة الفخمة الرائعة . المدعي العام رجل نحيف ذو وجه جامد بارد كأنما قد من الصخر يتصفح أوراقاً . . يرفعها ثم يكدسها فوق بعضها . . جوان . . محامي رشو هو أيضاً واقف في مقصورته

بين المحـامـين. . . . انــه شاب وسيم يجذب إليــه الانظـار بأناقته. . أما محامي الآغا فقصير قميء، يرتدي صدرية بيضاء قصيرة لاتكاد تصل إلى حزامه الجلدي المشدود على خصره. . انــه بمنظـره ذاك تنفر منه العيـون فما ان تقع عليـه عين حتى ترتـد عنـه في امتعـاض،اذ يوحي للآخـرين بالختـل والمكر والخبث. . الكـل متشـوق للخـروج من هذا المكـان رافـع الـرأس ناصـع الجبـين. . المتهمـون يجيلون الطـرف في أرجـاء قاعـة المحكمـة بقلوب واجفـة مضطـربـة مذعـورة لعل أعينهم تلتقي بأحد من معـارفهم أو أصـدقائهم. . البعض يتكلف الابتسامة اللامبالاة كي لايثير وا شفقـة الصديق أوشماتة العدو. . أما رشو وروشي وهما في قفص الاتهـام،فيطيـلان التحـديق في وجـه القـاضي ويعجبان لزخرفة المكان وحسن تنسيقه. . جوان يأخذ القلم بين أنـامله ويـدون كل مايخطر له على بال.واخيراً تلا القاضي تقرير رجـال الأمن: «ان المدعوين رشو وروشي المتهمين بالقتل العمد تضـافـرا ليـلا بعـد أن بيتا على الجريمة فاقتحما دار المغدور لوند وقتـلاه ومثـلا به أبشع تمثيل اذ مزقا جثته إربا إربا، وارادا اخفاء جريمتهـما النكـراء فالقيـا بالجثة المشوهة في زنزانة بردويل لتكون الجريمة كاملة، ثم ان رشو حين محاولة القبض عليه هاجم رجال الأمن بخنجره، ومزق رتبة الرقيب /برهان/ وأوسمته.

ثم توجـه القـاضي إلى رشو قائلاً: ـ بعد ذلك ماذا تقول

في الجناية المنسوبة إليك؟

رشـو ـ سيـدي القـاضي ـ انني لا ألم باللغـة الـتركيـة فاسمحوا لي ان أرد عن اسئلتك بلغتي الكردية .

المحـامي جوان ـ هذا صحيـح ـ ان رشـو رجـل كردي ولايجيـد سوى التكلم بلغتـه وبناء على القوانين المرعية في البلاد وبنـاء على الانظمـة الـديمقـراطيـة فإنه من حق كل انسان ان يدافع عن حقوقه باللغة التي يتحدث بها ويفهمها .

ـ معـالي القـاضي . اني لوطيد الأمل ان لاتأخذوا بتقارير الشـرطـة . . . ان الشـرطـة متـواطئـون أبداً مع أصحاب الثراء والعقارات . . هؤلاء الأكراد المظلومون يلقون من عنت الاثرياء وقهرهم منذ قرون طويلة مايعجز عنه كل وصف وبيان . . . كم من الابـريـاء يُزج بهم في السجـون بعـد ان تلصق بهم التهم وتنتـزع منهم الاعـترافـات بعد طول ضرب وتعذيب . . كم من الأبـريـاء يعلقون على أعواد المشانق ظلماً وجوراً.وانه لواضح من التقرير رغم ماجاء فيه من أفك وبهتان أن المتهمين قد اقدما على قتـل لونـد وهـذا الأمـر بعيـد عن التصـور كل البعـد إذ من غير المعقـول ان يستطيـع فلاح أعـزل مهـاجمـة دار الآغـا المحـاطـة بالـرجـال المـدججـين بالسـلاح والعتاد،ثم اقتراف جريمة بهذه السهـولـة التي يرويها التقرير. اسمحوا لي أن أروي لكم القصة بحـذافيرهـا كما حدثت لا كما تخيلهـا رجـال الأمن وصـورهـا

بالكيفية التي يرغبها الآغا،وان كنتم في ريب مما أقول فاسألوا وحققوا ودققوا حتى ينكشف لكم وجه الحقيقة سافراً جلياً،فما من أحد لم تصل أذنيه أصداء الجريمة . . . اني أرجوكم طالباً أيها السادة المحلفون أن تضربوا صفحاً عن كل ماجاء في التقرير وتعيدوا النظر في أمر التحقيق واعادته،وسيتضح لكم كل شيء كقرص الشمس . . اقترح أن تخرجوا مع لجنة التحقيق إلى القرية وأخيراً أود أن أقول لكم ان لديَّ حديثاً ذا شجون ولا أستطيع البوح به هاهنا .

سيدي القاضي . . . سادتي المحلفين . . ان الظلم والتعسف وصنوف الهوان التي تسحق كيان القروي والفلاح لم بعد معقول التحمل . . الفلاح يريد أن يكون انساناً سوياً . . انساناً كغيره آمنا مطمئناً لا يسخره الآخرون ولا يتصرفون به كما يتصرفون في حطام رخيص .

المدعي العام ـ مالنا ولهذا؟ أجئنا لنبحث في تحسين أوضاع القرويين؟ أقولها صريحة واضحة . إياك والعبث بالنار ـ وإيّاك ان تدس انفك في قضايا الدولة .

جوان ـ ليس من حقنا المساس بقضايا الدولة أو سياستها . . لكن هذه الأمور وقفا على رجال الدولة . . انها تمس الدولة كما تمسنا على حد سواء . . انها تمس ضمائرنا وانسانيتنا . انسانيتنا تفرض علينا بالحاح أن لانسكت على

الضيم مهما كان وأيا كان مصدره. . الفلاح مظلوم مضطهد مهان. . . يأكله السادة. . يحرث لهم الأرض. . يزرعها. . يحصد لهم الغلال بدمه وعرق جبينه. . يفعل لهم كل ذلك ليستأثروا باللباب ويرموا إليه بالقشور. لاشفقة عليه بل خشية أن ينهكهم الجوع ويقتلهم السغب فتبقى أرضهم بغير اجراء وفلاحين. . انهم يذلونه أكثر مما يذلون كلابهم فأيان لهم بعد هذا أن يصبروا ويصابروا. . كيف لايسقطون لاهثين مبهوري الانفاس تحت هذه الأعباء المضنية التي لم ترفع عن كواهلهم طيلة الف عام لحظة واحدة. . . . انهم الآن يتلمسون طريقهم إلى الكرامة ولكنهم لايجدونها فلا غرو أن يتطلعوا اليها بشوق والتياع

رفع القاضي نظارتيه وقال:

- ماهي الصورة المعيشية الحرة التي يصورها لك خيالك؟

- أن يكونوا أحراراً في نفوسهم. . احراراً في أموالهم. . أن يكون لكل واحد منهم أرضه وداره. . أن تنشأ لهم المدارس ويتعلموا فيها بلغتهم ليكونوا أعضاء مثاليين مؤمنين بوطنهم يرفعون دولتهم على أسس من الديمقراطية السليمة. . . أن يطردوا من بينهم قوافل الرجعية والاستعمار ويرسخوا في البلاد مبادىء التضامن والتكافل والاخاء. . الاكراد شعب عريق له في التاريخ أعمق الجذور. . . جذوره تضرب في أغوار العهود

السحيقة القدم. تشهد لهم بذلك مآثرهم في الفتح والانتصار أينما توجهت جيوشهم الجرارة،وتشهد لهم كذلك ماتركوا من اثار عمرانية ونحت وفن تضاهي أروع ماخلفته الحضارات التي سادت وازدهرت في يوم من الأيام ثم اندثرت وبادت.. إلا أنهم اليوم موزعون مشتتون لايكادون يتماسكون حتى يتبعثروا من جديد.وأشد تحملاً منهم للضيم الفلاحون والقرويون فقد استمرؤ وا الجهل والفقر حتى لم يعودوا يحسون بوطأتهما.

قال القاضي محتجاً

- كأني بك تجنح إلى الشطط والمغالاة. ثم أنك ترد موارد لاأستطيع أن استسيغها.. ومتى كان الفلاحون يفترقون عن الماشية والدواب؟ فقال جوان غاضباً مهتاجاً:

- بل إنهم أناس وإن كانوا بسطاء إنهم مثلي ومثلك.. ولعلهم خير مني وخير منك.. ولسنا خيرا منهم على كل الأحوال.. أأستهين بالانسان واحتقره أو أستصغره؟؟؟ وقد ضيعت زهرة العمر في دراسة التشريع الحنيف وأذبلت يانع الصبا في تقليب صفحات أسفار القانون؟ واستظهار البنود والمواد؟ يأبى عليّ ضميري... ويمنعني عقلي ووجداني، ويأبى علي الشرف أن أتنكر لبني جنسي أو أنكأ الجروح المثخنة.. إن ديني ينهاني أن أنصر ظالماً إلا بالضرب علي يديه أو آتي خطيئة في حق مظلوم ضعيف وفضلاً عن هذا وذاك فإن البؤساء

والمستضعفين من أبناء بلدي يرفضون اليوم أن يقروا للظالمين بسلطان ويدركون تماماً أن هذه الأنظمة البالية لم تعد تصلح دستوراً لمستلزمات حياتهم اليومية ولاتصح أن تكون بعد اليوم قاعدة ذهبية يسير ون عل هديها . . وعلى غرار التاريخ المتقدم المتطور بدأت الشعوب تحث خطواتها لتهيء لنفسها الرفاهية والازدهار وتبني مجدها مكيناً عالياً يزاحم مناكب الجوزاء .

ـ كفى . . كفى . . لقد وافقت المحكمة بالاجماع على اعادة النظر في قضية رشو وزوجته روشي وسوف تتوجه غداً أو بعد غد إلى قرية دارا للبحث عن أسباب الحادث الحقيقية .

تبادل المتهمون الذين حضروا جلسة المحكمة في إعجاب بالمحامي الشاب /جوان/ فقال أحدهم :

ـ ياله من باسل مقدام وجرىء .

ـ ليت في الناس مائة من أمثاله .

ـ يالضميره الحي . . يالضميره النابض بالمروءة الفياضة!

وقال الآخرون :

ـ ان محامينا ذئب خسيس لايشبع له نهم،ولاتروى له غلة .

ـ ومن ذا الذي لايتكالب على المال؟

ـ أخشى ان يكون محامينا هذا قد قبض من خصمنا مالا كما قبضه منا يالخسته ولؤمه!

ـ هذا أمر غير بعيد.

ـ لقد زج بي في السجن ولم أرتكب خطيئة وماااقترفت ذنباً.

ـ مات والـــدي من جراء الضـــرب والتعـذيب ثم اتهمني الجنود بقتله قبحهم الله مااكفرهم ـ أولئك.

البؤ ســـاء لايعلمـون أن الحكـومـات الظـالمـة لم تبرم إلا لترعى مصالح الاقطاع ورأس المال.. والا لترفع سيادة السادة على أشـلاء الجـماهـير الفقـيرة الكـادحـة وجماجمهم.. لايعلم / البؤساء / أن أنصار الحروب والمستعمرين متآمرون متواطئون على سلامتهم وحـريـاتهم المشـروعـة ولايعلمون أن الجنود هم ظلهم الـذي لايفـترق عنهم.. لايعلمون لم يكتب عليهم هذا الشقاء ويساقون إليه سوقاً هيناً طائعين مجبرين.. لايعلمون أن سحق كل صنـــوف الظلم والاضطهـــاء والاستعبـــاد واجب في اعنـاقهم. وعليهم أن يعملوا جيـلاً بعـد جيل حتى تشيع بينهم المودة والحرية والسلام.

بعد أيام طويلة لفظ السجن رشو وزوجته روشي، وعلى روابي «دارا» استقبل القرويون بعد أن علموا بمقدمهما ـ. هذين الغائبين واحتفوا بهما إيما احتفاء من القلب.

ولت أيام الشتاء الباردة.

أقبل الربيع وأينعت أيامه.

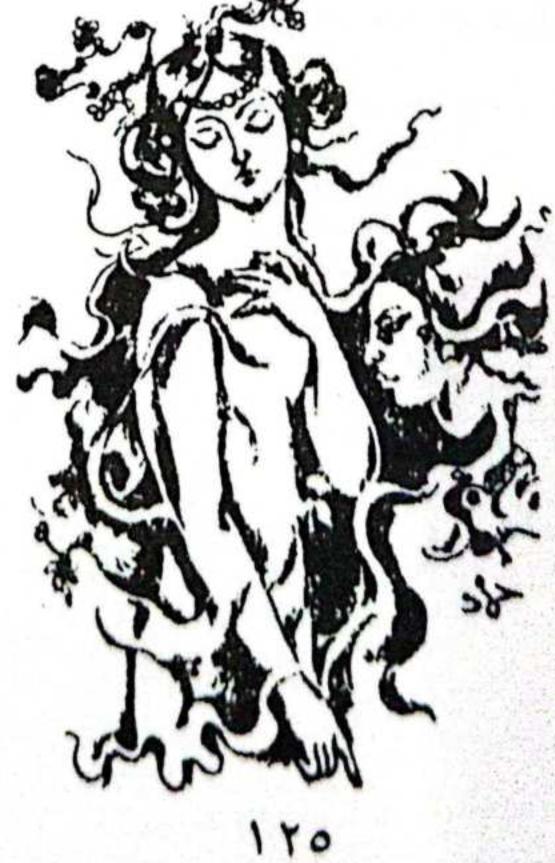
تفتحت براعم الورد والازاهير واخضـرت الأفنان. . ولي الظلم ومـات الآغـا الجـائـر. السيـول جرفت جميـع الادران والاوضـار. . القـرويون مبتهجون جذلون. . . نفوسهم حبلى بالفضيلة والخير والعطـاء. . . الجـدران والأطـلال تقـاسمهم الفـرحـة والمسـرة والابتسـامـة. . . . اكتست الجبـال بالأرديـة الخضراء وازدانت الأشجار بالورود العقيقية القانية.

السنابل والازهار تترنح في نشوة غامرة.

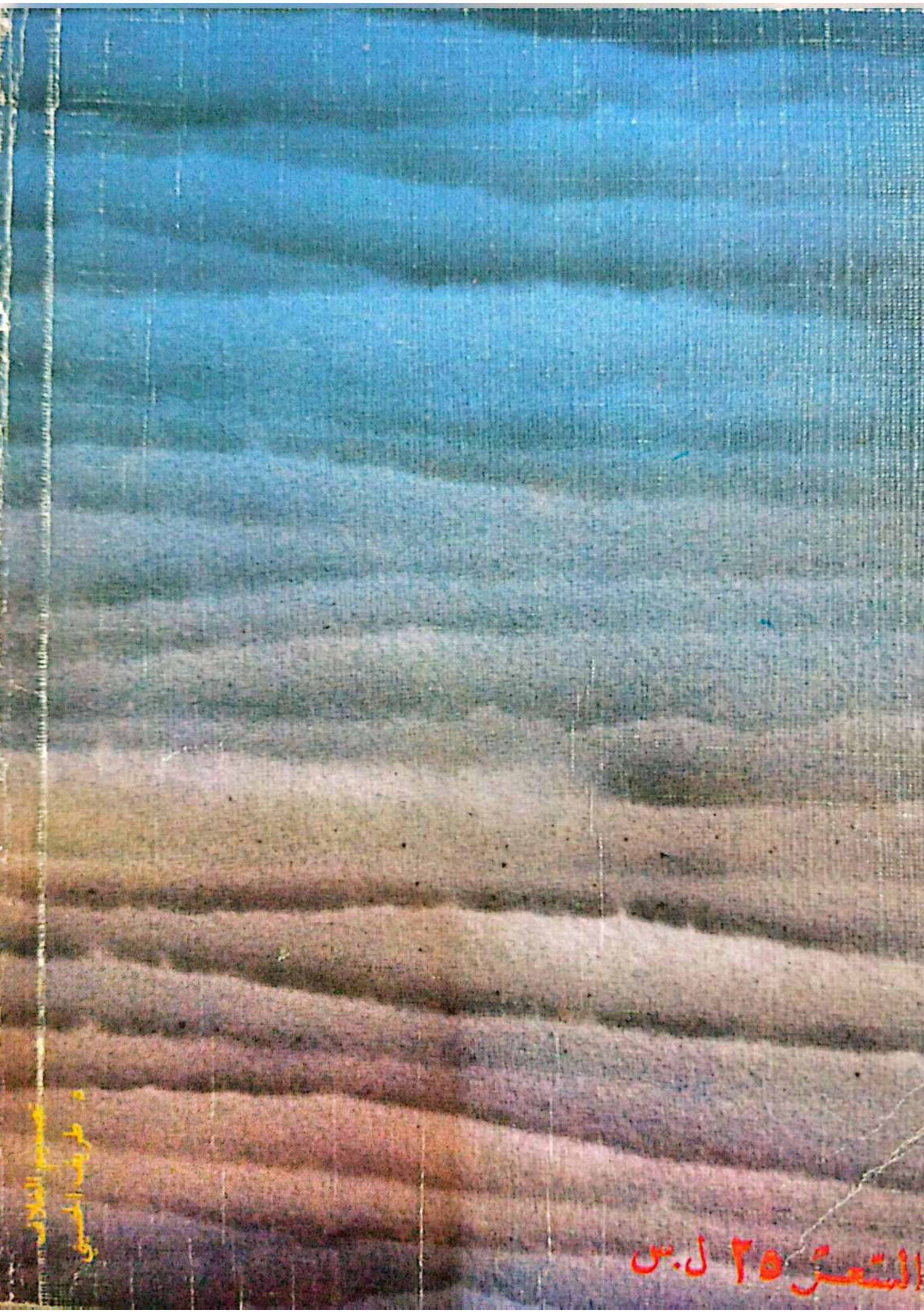
السعادة تغمر جميع الأفئدة.

فليحيا الوطن وليمت أعداؤ ه،وليهبط على الأرض المسرة والسلام.

ولتنـدحـر جحافل البغي والظلام،ولتشرق الشمس على كل الكائنات.



المحتوى


تصميم الغلاف
السعر ٢٥ ل.س